الفصل الثالث

الحاجة إلى التجديد في علم العقيدة

المبحث الأول : ضرورة التجديد في علم العقيدة

المبحث الثاني : تعريف التجديد ، وبيان المراد بالتجديد العقدي .

المبحث الثالث : مبررات التجديد في علم العقيدة

المبحث الرابع : أسس التجديد (محاور التجديد لعلم العقيدة المعاصر)

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الأول

ضرورة التجديد في علم العقيدة

في الصفحات السابقة عرضنا لجملة من المسائل المتعلقة بهذا العلم ، و التي أظهرت فضل هذا العلم ، و أهميته في الحفاظ على العقيدة ، ودفع ما يوجه إليها من شبهات ، كما اتضح لنا كذلك أن الموقف من علم العقيدة و إن اختلف لكنه لا ينكر دور هذا العلم أو إهمال دوره لا يعني تركه بالكلية ، فهذا العلم لا يمكن الاستغناء عنه لما يؤديه ، وإذا كانت هناك بعض الانتقادات التي وجهت إليه فهي وجهت إليه نظرا ، لغياب الدور المنوط ، ولذا تعددت الدعوات بضرورة عودته إلى دوره .

فالاستغناء عن هذا العلم كلية والاكتفاء بما جاء في القرآن وورد في السنة النبوية من قضايا عقدية وأصول إيمانية لا يكفي لمواجهة إلحاد هذا العصر ومن ثم لابد من تجديد هذا العلم ، وتقديمه موضوعاته ، وعرض مسائله و قضاياه في ثوب جديد يفي بالمطلوب و يحقق الغايات بحيث يتاح له أن يؤدي الدور المنوط به ، مهما تغيرت الظروف وتبدلت الأحوال ،خصوصا و أن وجوها عدة تدفع لقبول هذا الخيار و هي :

1 – **واقع العالم الإسلامي في عصرنا الراهن .**

فلا يخفى على أحد قسوة الواقع الذي يعيشه العالم الإسلامي الآن ، وهو واقع يؤكد ضروة قيام علم جديد يقوم بمهمة حراسة العقيدة الإيمانية ، وحمايتها من تشويش أهل البدع ، فضلا عن "حماية كل ما يرتبط بهذه الأصول من مباديء و تشريعات ذلك أن المجتمعات الإسلامية في الوقت الراهن تشبه – إلى حد كبير– المجتمع الإسلامي في طور نشأته ، من حيث سرعة التغير و شدتها في كل منها ، ومن حيث تعرض عقائد المسلمين لتناوش العقائد المناوئة ،و هجمات المذاهب الهدامة"[1]

(1) مدخل نقدي لدراسة علم الكلام د. محمد الأنور السنهوتي ص 253 ، دار الثقافة العربية ، 1410هـ1990 م.

إن من بين الدواعي المؤكدة لضرورة وجود علم كلامي جديد مجابهة المسلمين لأخطار عديدة تهدد عقيدتهم، ومواجهتهم لخصوم وأعداء ألداء يحاولون النيل منهم والقضاء على دينهم وتراثهم. خصوصا و أن أعداء الأمس غير أعداء اليوم، والشبه اليوم غير التى كانت موجودة بالأمس ، وبالتالي فالأسلحة التى استخدمها علم الكلام قديما قد لا تجدي في مواجهة خصوم اليوم، ومن هنا: "فإن علم الكلام الذي تطور على مر القرون، والذي وقف في تطوره عند عصر الإيجي، والتفتازاني، لا يصلح للقيام بهذه المهمة، والسبب هو أن علم الكلام انعزل عن التيارات الثقافية والعلمية المعاصرة، وانحصر إلى قاعات الدرس بالمعاهد العلمية المتخصصة، وصار يردد قضاياه الأصلية دون أن يعني بالتيارات الإلحادية التى تموج في حياة المسلمين في العصر الحاضر ، ... وهنا نجد أن المسلمين اليوم بحاجة ملحة إلى قيام علم يقوم بمهمة حراسة العقائد الإسلامية" [1].

2- **الغايات الجليلية لعلم العقيدة** ، فمن بين الغايات الجليلة لهذا العلم مواءمة النمو الحضاري للأمة الإسلامية ، في أساسياته ، و في حركته في المجال الاجتماعي ، و السياسي ، و الاقتصادي في ماله علاقة أو مساس بأصول الدين .

3- **كذلك من بين غايات هذا العلم الجليلة قيادة مسيرة الحضارة الإسلامية في** طريقها الإسلامي ، وليس هناك علم يتصدى لذلك غير هذا العلم .

إن العلوم التي توجه عنايتها للجزئيات لا تصلح لذلك، فعلم الفقه – مثلاً – يشارك في صنع هذه الحضارة ، لكنه يفترض أساساً أنها تسير في الطريق الإسلامي لا تبغي به بديلاً .

ويوم يقرر المجتمع الانحراف عن هذا الطريق، يصبح علم الفقه غير ذي تأثير، وعلم التفسير لا يتصدى لذاك إلا بمقدار تناوله لأساسيات العقيدة التى وردت في

(1) عوامل وأهداف نشأة علم الكلام ص 316 .

obeikandi.com

القرآن الكريم تناولاً يستهدف الإقناع بها ، فهو من ثم يزاول نشاط علم الكلام وكذلك علم الحديث....

أما علم الكلام فهو من حيث يعني بأصول الدين وعقائده ، تلك التي قامت على أساسها الحضارة الإسلامية – يقوم بمهمة قيادة هذه الحضارة والأخذ بها في الطريق الإسلامي للحضارة، و لم يكن من شرط لصلاحيته للقيام بهذه المهمة ، إلا أن يواجه بشجاعة مشكلات العصر الذي يطلب إليه قيادة حضارته ، و يتصدى لتحدياته ، ويتغلغل في أعماقه في كل ما له مساس بأصول الدين[1].

4- **النظرة السريعة لما يدور في أروقة الدرس الأكاديمي لعلم العقيدة اليوم** ، فهذه النظرة تكشف عن وجود هوة سحقية بين واقع المسلمين اليوم و ما يعج به من قضايا دينية ، و ما يلقى على طلبة العلم من دورس دينية تتصل بعلم الكلام ، هذا العلم الذي كان يمثل خط الدفاع الأول والحصين ضد حملات التشكيك في الإسلام و في عقائده ، أصبح الآن أشبه بالمتحف الثقافي الذي يتعرف الطالب من خلاله على جملة من الآراء التي لم يعد لكثير منها وجود في عصرنا .

أن الواقع الذي عليه عصرنا يختلف تماما عن الواقع الذي عاشه القدماء ، كما أن المشكلات التي يعج بها واقعنا يختلف كذلك عن المشكلات لدى القدماء، فضلا عن الموضوعات والثقافات ، و القضايا و المسائل و الحلول كلها أمور مختلفة . اقتضى ذلك عناصر كالزمان ، و المكان ، و البيئة ، و المستوى الفكري ، و الثقافي .

فمشكلة علم العقيدة تناولها القدماء باعتبار أنها كانت تمثل واقعا ثقافيا يعيشه القدماء همومه في الصباح و المساء، وهذا مما يؤكد على ارتباط هذالعلم قديما بواقع المسلمين[2]

---

(1) المصدر نفسه ص 311- 312 .

(2)ينظر : نحو قراءة جديدة لعلم الكلام د. محمد الجليند ص 25 -26 ، بحث ضمن أبحاث مؤتمر مناهج العلوم الإسلامية بين التجديد و التقليد الحلقة الأولى علم الكلام 20-21 إبريل 2004 م دار الهاني للطباعة .

5- **القضايا المعاصرة** ، إن مما يجب أن يحويه علم العقيدة الجديد القضايا المعاصرة التي صارت موجودة وبقوة على الساحة العالمية ، مثل قضايا الأقليات ، و الحريات العامة ، و نظم العلاقات الدولية ، وقضايا العولمة ، و الحداثة ، و التطرف ، و الإلحاد ، عبادة الشيطان ، و ظاهرة الإيمو ... الخ ، فهذه القضايا لا بد من أن يستوعبها علم العقيدة الجديد ، و إذا كان هذا العلم قد قام بدوره قديما ، في اسيعاب القضايا التي وجدت أمامه وقام بدورها نحوها خير قيام مما أهله أن يكون مواءما النمو الحضاري للأمة ، وفي ذات الوقت أسهم في المسيرة الحضارية للأمة المسلمة

6- **الأصول العقدية والقضايا الدينية والمفاهيم الإيمانية** التى جاء بها الوحي ؛ فهي بحاجة إلى توضيح كي تصل إلى عقول المخاطبين بهذا الوحي ، وذلك لما هو معلوم من أن العقول متفاوته و قاصرة بحيث يعجز الكثيرون منهم عن التلقي المباشر أو الفهم الواضح لمضامين الوحي ، وبالتالي فإن علم العقيدة الجديد يعمل على "إيصال المقاصد الدينية إلى فهم وإدراك طلاب العلم، ويقوم الكلام بدور الوسيط بين الوحي ومخاطبيه ، والوصول إلى هذا الهدف مرهون بتوضيح التعاليم الدينية، ففي التعاليم الدينية مفاهيم متعددة مثل: الإيمان، والتوحيد، والنبوة، والإمامة، والعدل، التي تحتاج إلى توضيح وتعريف، وتقديم التصور الواضح الجلي للمفاهيم الدينية يقع على عاتق علم الكلام"[1].

وليس معنى ذلك أننا نكتفي بأن يقوم علم العقيدة الجديد بمجرد شرح أو توضيح المفاهيم الإيمانية والقضايا الدينية فقط ، بل إن ما يجب أن يقوم به هو صياغة هذه المفاهيم وتلكم الأفكار في نسق معرفي يظهر النظام العقائدي الإسلامي بصورة متكاملة لا قصور فيها أو تفاوت ، شريطة أن ينطلق الكلام الجديد في بنائه المعرفي

(1) الهندسة المعرفية للكلام الجديد د/ أحمد قراملكي ، ترجمة حيدر نجف و حسن العمري ص60. ط دار الهادي بيروت 1423هـ 2002 م .

obeikandi.com

للنظام العقائدي الإسلامي من " المضمون الأساسي للنظرة القرآنية، ومن المشكلات المعاصرة، ومن الأزمات الماثلة في الأنظمة الحديث، بغية حلها في ضوء تلك النظرة، ويكمل نقص تلك العقائديات، محتفظاً في إطاره بمنجزات الحضارة الحديثة ومكاسبها في ميدان العلوم البحتة وفي ميدان الصناعة، ما دامت قابلة للدخول في أطر الإسلام العقائدية والأخلاقية"[1].

7- **عيوب علم العقيدة القديم** ، فمن بين أهم عيوبه ، نزعته التجريدية النظرية، وأحكامه اليقينية ، الأمر الذي ترتب عليه تعصب أصحابه لاتجاهاتهم تعصبا مذهبيا مقيتا ، فالمعتزلة العقليون تعصبوا لفكرتهم وصولا لإجبار الناس على اعتناقها كما حدث في مسألة خلق القرآن، و أهل الأثر تعصبوا للمنقول على حساب المعقول دون وعي حقيقي وإدراك كامل للمنقول .

هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية فإن طريقة عرضه لمسائله شابها القصور باعتباره قد ركز على معرفة المخلوق بخالقة معرفة جزئية إذ ركز فيها على الناحية العقلية فقط مهملا لنواحي أخري كالروحية و الوجدانية الأمر الذي ترتب عليه غياب الأثر العملي للعقيدة في نفوس أصحابها .

إن دور العقيدة يأتي حين " تلبى مطالب العقل و مطالب الروح . أما مطالب العقل فتتمثل في الحاجة إلى الإجابة عن عدد من الأسئلة المتعلقة بالتصور العقلي لكثير من غوامض الوجود . و أما مطالب الروح فتكمن في السعي وراء السعادة الحقيقية للإنسان حينما يصطدم بالحياة المادية و يكابد أحداثها.

ويمكن إدراك خطورة تقليص دور وفعالية العقيدة في حياة وقلوب المسلمين إذا ما علمنا أن "عوامل الانحراف متشبعة متعددة بفعل كثرة المؤثرات المؤدية إلى الخلل في

(1) نظام الإسلام العقائدى فى العصر الحديث: أ/ محمد المبارك ص 12، ط المعهد العالمي للفكر الإسلامي 1989م.

obeikandi.com

السلوك، والهيام في التصور، والتخبط في الفكر، وقد تبين من تعدد أوجه الحضارة المدنية تعدد وسائل التأثير والجذب، وجوانب التأثير والانجذاب، ولا محيد هنا عن وجود عامل الرقابة الذي يسيطر على تصرفات الإنسان ويضبط سلوكه ويقوم أعوجاجه".

وفي ظل الموجات الثقافية المتلاحقة والتى تقذف بمختلف مظاهر السلوك الإنساني، وفي ظل تعدد وسائل الإعلام وتنوعها، من إعلام مكتوب إلى مسموع، إلى مرئي، إلى فضائيات واسعة النطاق، إلى شبكة المعلومات العالمية، وغيرها من وسائل نقل الثقافة، وفي ظل هيمنة نظام عالمي يراد من خلاله طرح ثقافة واحدة تنصهر فيها كل الثقافات، وتذوب فيها الخصوصية الفردية، ويتضاءل فيها حق الاحتفاظ بالهوية الذاتية للأمم والمجتمعات والأفراد.

تحت كل هذه الظلال لا يبقى أى من أنواع الرقابات على السلوك الذي يدفع بالمرء إلى إشباع الرغبات والنزوات من غير مبالاة بالقيم والأعراف والشرائع والقوانين. وهنا يقل – بقوة – دور سائر الرقابات، فلا الرقابة القانونية، ولا الرقابة الشعبية، ولا رقابة الأسرة قادرة على السيطرة على سلوك الإنسان الذاتي. وتبقى رقابة واحدة هى القادرة على الحكم والضبط على المرء، وهي الرقابة الذاتية النابعة من ضمير الفرد ووجدانه وأعماق نفسه، وليس ثمة شئ يفرض هذه الرقابة في باطن الإنسان إلى العقيدة الصافية، والإيمان القوي الذي يصل الإنسان بخالقه سبحانه وتعالى، ويورث في قلبه يقظة دائمة من غفلة الروح وغفوة الضمير، كما يورث شعوراً مستمراً بالرقابة الإلهية التى تهيمن على عقل الإنسان وفكره وكيانه

ومن جهة أخرى فإن تداخل الثقافات و تناقل مفرداتها ، و تلاشي الحضارات و تكامل علومها يؤدي في بعض جوانبه السلبية إلى ورود أفكار لا تلائم التصور الصحيح للكون و المبدأ و المعاش و المعاد و الغيبيات ، كما تشوه التفسير الحقيقي للوجود ومصدره وحقيقته ودور الإنسان ووظيفته في الحياة ، وحينئذ يتعين المصير إلى

الطرح الإسلامي الموضح لكل هذه المعاني و المجيب عن كل هذه التساؤلات في هذه القضايا باعتبار أن العقيدة الإسلامية قد تكفلت بالرد عليها[1].

8- **اتفاق كثير من علماء الإسلام على ضرورة تجديد علم العقيدة** ، فمن بين الدواعي المؤكدة على ضرورة تجديده تنبيه علماء الإسلام الأجلاء على هذا مع اختلاف أماكنهم ، و نكتفي هنا ببعض أقوالهم :

أ- **الإمام الأكبر الدكتور عبدالحليم محمود (رحمه الله تعالى)** الذي نعى على العقيدة بصورته الحالية أو القديمة ، وطالب بتوحيد الجهود لإيجاد علم الكلام فيما ينبغي أن يكون[2].

ب- **أ. وحيد الدين خان** ، فقد دعا إلى ضرورة وجود علم كلام جديد قائلاً: إن تطور العلم مكننا اليوم من وضع علم كلام متناسق مع القرآن، وإذا كان هناك من شئ يسمى بعلم الكلام الجديد فهو هذا العلم الذي لم يدون بعد بالرغم من توفر المواد وشدة حاجتنا إليه لسد الفراغ الفكري الذي يعاني منه المسلمون بصفة عامة، وغير المسلمين بصفة خاصة[3].

ت- **المرحوم الدكتور محمد يوسف موسى** فبعد تقديم بعض الملاحظات على الكلام القديم يقول : لسنا نريد بهذا أن ندعو لعدم دراسة علم التوحيد، ذلك بعيد أن يدور منا بالبال، بل المراد من هذا أن ندلل على وجوب تطور هذا العلم بوجه عام، وذلك بأن نجدد في كتبه وأدلته ومشاكله وفي الفرق التى يرد عليها، وحينئذ يكون أداة منها، أداة يكون منها خير كثير في تثبيت عقائد الدين وهداية الضالين[4].

---

(1) التجديد فى عرض علوم العقيدة: أ/ ناصر بن سليمان بن سعيد السابعى، ص 953- 926، ضمن أبحاث المؤتمر الثالث عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية 2002م.

(2) ينظر: الإسلام والعقل ص 80، ص 104، دار الكتب الحديثة بالقاهرة.

(3) تجديد علم الدين ص 68 ترجمة ظفر الإسلام خان، ط دار الصحوة للنشر 1406 هـ 1986م.

(4) مقدمه سيادته لكتاب الإرشاد للجويني ص ش، ط مكتبة الخانجى بمصر 1369هـ/ 1950.

obeikandl.com

وبالجملة فنحن في حاجة ماسة إلى علم كلام متطور ، يلائم ظروف العصر و طبيعة المرحلة التي نعيشها ولا تقف إمكاناته و تطلعاته و أهدافه عند حدود علم الكلام القديم ، الذي وقف تطوره عند عصر الإيجي و سعد الدين التفتازاني ، و الذي انتهي به الأمر إلى أن انعزل عن التيارات الثقافية و العلمية المعاصرة، و اقتصر دوره على وجوده داخل قاعات الدرس ، ولم يعد له صلة بقضايا الساعة أو الواقع المعايش ، فلم يشتبك اشتباكا جادا مع المذاهب المادية ، و التيارات الإلحادية ، و الفلسفات الوثنية ، و الجماعات الجهادية التكفيرية التي تهدد واقع المسلمين ،كل هذه يجعل من الأهمية بمكان وجود علم جديد يراعى الوقت و يناسب الظرف .

obeikandl.com

المبحث الثاني

تعريف التجديد ، وبيان المراد بالتجديد العقدي

تمهيد : (في أمور لابد منها) :

عند الحديث عن التجديد في علم الكلام ينبغي قبل الشروع في بيان المراد منه لابد الإشارة إلى عدة أمور مهمة تسهم في وضع الأمور في موضعها الصحيح ، كما أنها تسهم في توضيح المراد بالتجديد الكلامي بالمعني الحق الصحيح ، و من بين هذه الأمور ما يلي :

الأمر الأول : من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن المراد بالتجديد هنا في الجانب العقدي أو الكلامي ما يتعلق بالعلم لا ما يتعلق بالعقيدة ذاتها ، وهذا مفاده ضرورة التفرقة بين العقيدة الإسلامية وعلم العقيدة الإسلامية، إذ أن التجديد الذي ندعو إليه يتعلق بالعلم ولا يتعلق أو يتوجه للعقيدة الإسلامية إذ هي لا تقبل التجديد أصلاً و ذلك نظرا لخصائصها ، و التي من بينها و أهمها الربانية ، و التوقفية ، بخلاف علم العقيدة فهذا هو الجانب الذي يناله التجديد باعتبار أنه جهد بشري خالص يقوم بدور الوساطة بين الوحي والمخاطبين به .

ومعنى هذا أن التجديد الذي نعنيه لا يتناول ثوابت هذا الدين ، فهذه الثوابت أي الأصول الإسلامية المقدسة خالدة خلود الدين الخاتم ، ولا يمكن تحت أي ذريعة من الذرائع الاجتهاد في مقابلة الثوابت و تجديد الأصول ، إنما التجديد مساحته الفكر الإسلامي الموروث والمعاصر ، أي الإنتاج الفكري الإسلامي للمفكرين المجتهدين المتقدمين و المتأخرين[1].

الأمر الثاني: يتعلق بحقيقة الدعوة إلى تجديد علم العقيدة ، أن التجديد ليس

(1) ينظر : التجديد في الفكر الإسلامي – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية العدد 57 – القاهرة 1422هـ 2001م .

openkanal.com

انقطاعا عن تراث السابقين ولا قفزا عليه ، و لكنه يكون بقتل هذا التراث بحثا و نقدا لاستيعابه وتجاوزه إلى أفق جديد يتناسب مع طبيعة العصر و مشكلات الوقت الراهن لمواجهة التحديات المفروضة على الأمة ، و هذا ما نلمسه في عمل الأكاديمين الذين عكفوا على دراسة التراث الإسلامي ، بمختلف مدارسه الفكرية ، و تياراته المذهبية ، دراسة واعية لاستكشاف طبيعة العقل المسلم ومكوناته ، وهو ما يبرز بوضوح في أعمال مدرسة العلامة مصطفى عبدالرازق الذي وجه تلاميذه لاكتشاف العقل الإسلامي عبر علمي أصول الدين ، و أصول الفقه باعتبارهما أكثر العلوم تعبيرا عن خصوصية العقل المسلم و مجال تميزه و تفرده[1].

الأمر الثالث : يتعلق بفرضية مسلمة تتضمنها الدعوة إلى تجديد علم العقيدة وتتمثل في ضرورة التسليم الجازم بأن الفكر العقدي شأنه كأي فكر بمرور الزمن ، ومضي الوقت يصيبه الركود ، الأمر الذي يحتم ضرورة النظر فيه ، و إعادة بنائه من خلال عرض مسائله ، وتقديم موضوعاته بما يتناسب ، مع عناصر منها "... الأعراف ، والزمان ، و المكان ، و التاريخ ..."[2].

و مثل هذا يحتم ضروة تجديد علم العقيدة بما يستقيم و القواعد المقررة و القواعد المتعارف عليها لدى أهل العلم و ذوي الاختصاص .

و بعد الإشارة إلى ما تمت الإشارة إليه ننتقل لبيان معنى التجديد في اللغة، ثم نوضح المراد بالتجديد العقدي.

أولاً : معنى التجديد :

يعد مصطلح التجديد واحد من المصطلحات التي كثر الحديث عنها في الأونة

(1) ينظر : تجديد الخطاب الديني د . أحمد عرفات القاضي ص 24-25 – الهيئة المصرية العامة للكتاب 2008م .

(2) مفاهيم التجديد و الاجتهاد و الإبداع ، سماحة الشيخ عبد الأمير قبلان ص 133 ضمن كتاب أبحاث مؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي المنعقد في القاهرة 2001م ، مطابع الأهرام التجارية .

الأخيرة ، و تناولها العلماء والمفكرين بالبحث والدراسة من نواح متعددة ، وكانت مسألة تحديد ماهيته من المسائل التي عني بها المفكرون خصوصاً وأن المنهجية العلمية تقتضي تحديد مفهوم المشكلة محل الدراسة ،وفهم معناها، "كما أن التفاهم والتخاطب إنما يقوم على فهم مدلولات الألفاظ،وبيان المراد منها"[1]

(أ)التجديد في اللغة :

جاء في معاجم اللغة وقواميسها عن مادة "جدد" ما يلي:

أن العرب تقول تجدد الشئ يجد أي صار جديداً ،و أجدّ الشيء و استجده ، أي صيرّه جديدا فتجدد . و الجدّة مصدر الجديد وهو نقيض البلى ، و يقال جد الثوب يجد – بالكسر – صار جديدا وهو نقيض الخلق، و أجد ثوبا و استجده لبسه جديدا[2].

قال البوصيري في مدح الرسول صلى الله عليو و سلم :

آياته كلما طال المدى جُددُ === يزينهن جلال العتق و القدم[3].

و قولنا تجديد شيء : يفيد و جود أصل صحيح له حصل عنه تغيير إلى سيىء، و تجديده يكون برده إلى أول عهده الذي كان فيه جديدا و ذلك مثل " السيف إذا علاهُ الصدأ ثم نفضنا عنه الصدأ ، فهذا يسمى تجديدا ؛ لأنه يعيد للسيف مضاءه من جديد"[4].

ومن النقول السابقة يمكن القول: إن التجديد في أصل معناه اللغوي هو إعادة الخَلِق البالي بعد أن تقادم به العهد ، و غشيته عوادي الزمن إلى حالته الأولى التي ظهر

---

(1) المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم،د/ عوض الله حجازي ص 72 ط خامسة دار الطباعة المحمدية بالقاهرة.

(2) لسان العرب لابن منظور 2/ 201، 202 ط ثانية ، بيروت 1417 – 1997 م ، القاموس المحيط للفيروز آبادي باب الدال فصل الجيم مادة (جد) ص 246 ، ط2 مؤسسة الرسالة ، بيروت 1407هـ 1987 م .

(3) البردة للبوصيري ص 8 ط مكتبة الأزهر .

(4) تجديد الدنيا بتجديد الدين د. محمد عماره ، ص 12 ط 2 مكتبة نهضة مصر 1998 م .

عليها لأول مرة مع المحافظة على جوهره وخصائصه وصفاته الذاتية ومعالمه ، وعدم المساس بها وهذا كما ينطبق على الماديات ينطبق كذلك على المعنويات .

ب-التجديد في البيان القرآني :

كلمة" تجديد " لم ترد في القرآن الكريم ، و إنما وردت بعض مشتقاتها مثل: جديد ، جديدا ، في بعض الآيات الكريمة التي تحدثت عن قضية البعث بعد الموت ، ومن هذه الآيات ما جاء في قوله تعالى :﴿ وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً﴾[2]، والمراد بالخلق الجديد هنا هو البعث والإعادة بعد الموت.

وقال تعالى : ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾[3].

وقال جل شأنه: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[4].

فهذه الآيات جاءت كلها لتؤكد على قضية البعث بعد الموت ، و هذا التكرار حول هذه القضية يشير إلى أن الله سوف يعيد كل إنسان على هيئته الأصلية و حالته الأولى التي وجد عليها ، وهذه الإعادة للجسم بجميع أوصافه و كل خصائصه يعد بعثا له أو تجديا له ، فالبعث في المفهوم القرآني هو إعادة الشيء إلى حالته الأولى التي كان عليها دون أي تغيير ، و هذا هو المعنى الحقيقي للتجديد في القرآن الكريم و عبر عنه بألفاظ جديد- جديدا .

ج-المصطلح في رحاب السنة المطهرة:

وإذا انتقلنا للسنة المباركة وجدناها قد تعرضت لمصطلح التجديد من خلال

(1) سورة الرعد آية رقم: 5.
(2) سورة الإسراء آية رقم: 49.
(3) سورة السجدة أية رقم : 10.
(4)سورة ق آية رقم: 15.

obeikandl.com

ذكرها لبعض مشتقاته في أحاديث عدة منها : مارواه ابن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب ، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم "[1].

و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "جددوا إيمانكم قيل يارسول الله ، وكيف نجدد الإيمان ؟ قال : " أكثروا من قول لا إله إلا الله "[2].

و الناظر في هذين الحديثين الشريفين يدرك أن الإيمان وهو شيء معنوي يعتريه ما يعتري الثوب من الخلق و البلي ، فهو يجدد و يبلى ، و يضعف و يقوى ، و قد بين لنا الرسول (صلى الله عليه وسلم)على طريقة تجديده و ذلك من خلال أمرين وهما :

الأول : سؤال الله تعالى تجديد الإيمان .

الثاني : قول لا إله إلا الله .

وأشهر حديث في هذا الإطار ما رواه سيدنا أبو هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله(ﷺ) قال : (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)[3]، وتجديد الدين المشار إليه هنا يكون بإحياء ما اندرس من أحكام الشريعة، وما ذهب من معالم السنن، وخفي من العلوم الدينية الظاهرة والباطنة[4]،والمقصود بالعلوم الباطنة علوم الخشية والسلوك والمراقبة ونحو ذلك، وقد ورد التجديد في أحاديث أخرى بمعنى إحياء الإيمان في القلوب .

---

(1) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك 1/ 4 ، و قال : " لم يخرج في الصحيحين ، ورواته مصريون ثقات ، ووافقه الذهبي ، وعزاه الهيثمي في المجمع 1/ 57 للطبراني و قال : " إسناده حسن " .

(2) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده 2/ 359 و حسن إسناده الشيخ أحمد شاكر (8695) .

(3) رواه أبو داود فى كتاب الملاحم باب ما يذكر في قرن المائة ، حديث رقم: 4291 (4/ 109) ط المكتبة العصرية بيروت.

(4) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (1/ 10) ، ط دار المعرفة بيروت ، 1391هـ 1972م .

وأخيراً جاء التجديد بمعنى الإعادة كما في قوله (ﷺ) : " لا تسبوا الدهر، فإن الله عز وجل قال: أنا الدهر، الأيام والليالي لي أجددها وأبليها وآتي بملوك بعد ملوك" [1].

فجماع ما تقدم من معاني لمصطلح التجديد في اللغة والقرآن والحديث الشريف، يدل على الإحياء والبعث والإعادة للشئ، وبالتالي فالتجديد إصلاح داخل شئ كان موجوداً ، ثم أصابه البلى أو الضعف والركود، وليس إحداث شئ لم يكن موجوداً من قبل ، وابتداع أمر جديد وفرق كبير بين تجديد الشئ واختراع شئ جديد [2].

د- التجديد في اصطلاح العلماء :

عند محاولة الوقوف على معنى التجديد في اصطلاح العلماء نجد أن هذا المصطلح قد ظهر مبكرا ، و قد جرى ذكره على الألسنة و الأقلام ، و أصبح الحديث عن التجديد و المجددين معروفا ومشهورا ، و الناظر فيما كتب قديما و حديثا من قبل علماء الإسلام عن التجديد يجده لم يخرج عن النحو التالي :

الأول : و فيه يرى أصحابه أن التجديد هو إحياء العمل بالدين ، والعمل على عمل الناس به ، يقول العلقمي معنى التجديد : هو إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب و السنة و الأمر بمقتضاها[3].

الثاني : وفيه يذهب أصحابه أن التجديد هو إحياء العلم بالدين و تجديد الفهم له يقول القاري في المرقاة :التجديد هو أن يبين السنة من البدعة ، و يكثر العلم و ينصر أهله ، و يكسر البدعة"[4].

---

(1) مسند الإمام أحمد 2/ 496.

(2) ينظر: مفهوم التجديد مع رؤية تطبيقية على التجديد فى كتابة العقيدة الإسلامية دكتور سليمان بن صالح الغصن ص 587 ضمن كتاب المؤتمر الدولى لكلية دار العلوم جامعة المنيا فى مارس 2005م.

(3) فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة المناوي ص 14 ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1 1994 م.

(4) ينظر: عون المعبود في شرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي 6/ 260 ، ط دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ .

وهذا المعنى هو ما يؤكده أبو الأعلى المودودي بقوله التجديد هو : " عبارة عن تطهير الإسلام من أدناس الجاهلية وجلاء ديباجته ، حتى يشرق كالشمس ليس دونها غمام"[1].

الثالث : وفيه ينتهي أصحابه إلى أن التجديد هو تنزيل الأحكام الشرعية على ما يجد من الأحداث و الوقائع ومعالجتها معالجة نابعة من الكتاب و السنة.

إذا أن التجديد عندهم هو الفهم الجديد القويم للنص، فهما يهدى المسلم لمعالجة مشكلاته و قضايا واقعه في كل عصر نعيشه، معالجة نابعة من هدي الوحي"[2].

من خلال هذه الإتجاهات يمكن صياغة تعريف جامع له بأنه هو : إحياء و بعث ما اندرس من الدين ، و تخليصه من البدع و المحدثات ، وتنزيله على واقع الحياة و مستجداتها

هذه هي التعريفات التي قيلت في تعريف التجديد بصفة عامة ، و الآن علينا أن نبين المراد بالتجديد العقدي ، أو ما هو المراد بتجديد علم الكلام ؟

وقبل الإجابة على هذا السؤال لا بد من الإشارة إلى إن الذي نرمي إليه من وراء التجديد الكلامي هو التأكيد على حقيقة مهمة وهي : " أن قضايا العقيدة الأساسية تمثل أصولاً وثوابت لا اجتهاد فيها، فى كل زمان ومكان، فأصول الإيمان الستة التى جاء بها حديث جبريل (عليه السلام) ، وهى: الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر هي أصول الإيمان إلى آخر الحياة الدنيا، وأن الاقتراب منها بدعوى التجديد في تلك الأصول إنما هو تحريف وليس تجديداً ، من ثم نرى أن المراد بالتجديد في تلك الأصول إنما هو تحريف وليس تجديداً ، من ثم نرى أن المراد

---

(1) موجزتاريخ تجديد الدين و إحيائه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم : أبو الأعلى المودودي ص 9 نقله إلى العربية محمد كاظم سباق ، بيروت ، دار الصحوة للنشر- القاهرة ، ط1 – 1986م.

(2) ينظر : الإجتهاد للتجديد سبيل الوراثة الحضارية ، عمر عبيد حسنة ، ص 20 المكتب الإسلامي بيروت ط 1 – 1988 م .

obeikandi.com

بالتجديد هنا : هو سوق الأدلة على العقائد الصحيحة ونقض شبهات العقائد الباطلة من منظور يتلاءم مع مقتضيات الأحوال، بتغير الزمان والمكان، والروح العامة التى ينظر بها إلى الأديان ، و ليس هذا ببعيد عن منهج الإسلام"[1].

ومعنى هذا أن التجديد لا يمس الموضوعات العقدية المتعارف عليها اصطلاحا في علم العقيدة ، لكنه يختص بالتناول ، و الاستدلال ، و التوجيه .

أوبعبارة أخرى يصح القول بأن : " الاجتهاد في الأصول "العقائد" ومصدرها النص القطعي الثبوت والدلالة، أي محكم القرآن ليس معناه التغيير لهذه الأصول، ولا تجاوز أي منها .. وإنما معناه – أحياناً – إزالة طوارئ الانحرافات والبدع الفكرية – وهى غير الإبداع – عن هذه الأصول، لتعود لها خصائصها وفعاليتها.. ومعناه – في أحيان أخرى – الاستفادة بمنجزات العقل الإنساني في العلم الكوني وفي الفلسفة لإقامة البراهين العقلية الجديدة على صدق هذه الأصول"[2].

وإذا كان الأمر على هذا فما هو التجديد المطلوب؟ يجيب عن هذا أحد كبار الباحثين في عالمنا الإسلامي بقوله : إن نطاق التجديد في علم العقيدة ينبغي أن لا يقف عند إلحاق المسائل المستجدة بالمنظومة الموروثة في علم الكلام ... وإنما يشمل هذا التجديد – إلى جانب المسائل الجديدة – أهدافاً ومقاصد جديدة فرضتها تحديات جديدة لم تكن موجودة في القرون الإسلامية الأولى ، وذلك مثل نهوض "الآخر" ، و العلاقة به ، وتراجع العالم الإسلامي ، وعوامل صعود الفلسفات المادية ، و المذاهب الوضعية ، ، وثقافة الحداثة، وتفكيك وعدمية ما بعد الحداثة، ومن مثل التخلف الذاتي الموروث عن حقب التراجع الحضاري في مسيرة الأمة الإسلامية.

---

(1) العقيدة الاسلامية فى الواقع المعاصر إطار التجديد وضوابطه لاستاذنا الدكتور/ محمد نصار ص 1128-1129 ضمن أبحاث مؤتمر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لسنة 2002م.

(2)الاجتهاد الكلامى مناهج ورؤى متنوعة فى الكلام الجديد، إعداد: عبدالجبار الرفاعى ص 125 ، ط دار الهادى، بيروت 2002م.

obeikandi.com

بجانب هذا لابد أن يشتمل التجديد كذلك التجديد في المناهج استفادة بما تحقق من التراكم المعرفي في هذا الميدان ، ويضاف إلى هذا أيضاً لغة الخطاب وأساليب التأليف ، ومنطق الترتيب للأبواب والمسائل والمقالات ، فلابد من تحلي علم الكلام الجديد بالبلاغة التى تراعى مقتضى حال العقل المعاصر، إن في الموضوعات أو أساليب التعبير والخطاب، أو هندسة البناء المفاهيمي والمعرفي لأدبيات هذا الطور الجديد لعلم الكلام"[1].

ومعنى هذا أن التجديد الكلامي يجب أن يكون شاملاً لكل أجزاء العلم المعرفية من مسائل ، ووسائل ، وأساليب ، ومناهج ، و لغة ، وأهداف ، وكل ذلك تجاوبا مع عناصر الظروف و الزمان ، و القضايا و المشكلات ، و بدون مراعاة هذه الأمور ، وورود التجديد لكل هذه الجوانب يصبح تجديد علم العقيدة أمراً لا وجود له أو على الأقل بناء غير متكامل الأركان .

خصوصا أن " قضايا الدين ، و قاعد الإيمان في العصور السالفة كانت بوجه عام قضايا مقبولة بحيث كان المطلوب هو إقامة الأدلة على صحتها ، فإن قضية الدين و الإيمان في عصرنا مطروحة من حيث المبدأ بين من يقبل ويجتهد في الإثبات و البرهنة ، و بين من يرفض أو يتباعد ، وقد يعمد إلى محاربة الدين و الشرائع المنزلة على أساس دعوى زائفة و تعلق بأوهام تدل على الزيغ و الجهل بالحقائق الكبرى التي لا يمكن أن يجد العقل الإنساني مناصا من التعرض لها و التحدث فيها ، ولذلك لابد من التفكير في الطريقة و الكيفية لإحقاق الحق و إبطال الباطل بالحجة والدليل ، ليس فقط على المنهج التقليدي المأثور بل على أحسن ما تحقق في التراث الكلامي النفيس بل مع الأخذ بالمناهج الجديدة خصوصا في مجال العلوم الحديثة العقلية و الكونية و الإجتماعية "[2].

---

(1) المصدر نفسه ص 126 .

(2) خطة مقترحة لتجديد علم الكلام بحث د. محمد عبدالهادي أبوريد ضمن سلسلة أعمال غير منشورة الجزء الأول الفلسفة الإسلامية و بعض قضايا الفلسفة ص601 ، حققه و قدم له د . فيصل بدير عون ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ط1-2011م .

وكل هذا يمكن تحقيقه بأن يكون التجديد الكلامي شاملاً لكل أضلاع هذا العلم المعرفية من مسائل ووسائل وأساليب ومناهج وأهداف ، دون إغفال إحداها.

و إذا كان التجديد لعلم العقيدة لا يتم إلا باجتماع كل الأضلاع المكونة لهذا العلم فهل هذا يعني حتمية الانسلاخ التام من العلم القديم ، أو إهماله كلية لإحلال علم كلام جديد يتوءام مع ظروف العصر ، و طبيعة الزمن ، ويتناسب مع القضايا و المشكلات ؟

في واقع الأمر القول : بأن التجديد لعلم العقيدة لا يتم بإهمال القديم ، وتركه كلية أمر لا يستقيم مع المنهجية العلمية ، و لا يصح القول به ؛ إذ أن البناء الجديد لهذا العلم لا يتم إلا من خلال الكلام فالتجديد الكلامي شيء آخر يتم من خلاله الوقوف على ما في القديم من إيجابيات للاستفادة منها ، ومعرفة ما فيه سلبيات لتجاوزها ، ومعالجتها متى أمكن ذلك خصوصا إذا ما وضع في الحسبان أن بعضا من هذه السلبيات التى تعرض لها أو وقع فيها كانت لظروف و عوامل متعددة أدت إليها .

وعلى هذا يكون التجديد العقدي المطلوب هو " أن يتحول العلم في اضلاعه المختلفة ويبقى ملاك الوحدة بين مسائله على حاله دون تغير، وكذلك مناط تمييزه عن سائر العلوم إن التحول التكاملي، يعني أن يتكامل الشيء ويظهر في صورة جديدة مع الاحتفاظ بمشتركات معينة مع القديم. ما يعني بقاء الملاك الذي يوحد بين المسائل ويميز العلم عن باقي العلوم. فلا يحصل نتيجة التجديد في أهم الأضلاع المعرفية للعلم انقلابا ماهويا فيه. بل يحتفظ العلم بعناصره الاساسية المكونة لتعريفه وهويته"[1].

ويساعد على هذا أن علم العقيدة " كما نقرؤه في مصنفاته المتوالية كان يتطور من حيث المحتوى و الأدلة ، و من حيث تناول الآراء و المشكلات التي كانت تعرض و تتجدد باستمرار ، وعلى هذا فإن مهمته في عصرنا كبيرة و خطيرة بمقدار كثرة الآراء و

(1)جولة فى كتاب الهندسة المعرفية الهندسة المعرفية للكلام الجديد د . أحمد قراملكى Posted on 2011 ,22 يناير by hasanyehya

تنوعها و تضاربها و تحير كثير من العقول في عصرنا المضطرب"[1].

وعلى هذا يكون التجديد في علم العقيدة ليس خاصا بالأصول الاعتقادية ؛ لإنها حقائق أزلية أبدية لا يمكن التدخل فيها نظرا لربانيتها .

بل يختص بكل أجزاء العلم المعرفية و التي سبق ذكرها ، ومعنى هذا أن التجديد في علم الكلام أشبه ما يكون بسلسلة متصلة الحلقات يأخذ منها اللاحق عن السابق ، و يبني على بنائه ، و يضيف إليه ، ويصحح له متى وجد ذلك ، و يطور فكرته و يدلل عليها و يسوق لها الأدلة المتنوعة ، و يعرض لهذه الأدلة بما يتناسب مع ظروف العصر و طبيعة المشكلات و القضايا ، كل هذا مع المحافظة على أصول هذا العلم و ثوابته ، باعتبار أن الدعوة للتجديد هذا العلم لا تمثل انقطاعاً عن جهود الآخرين ، وفي نفس الوقت لا تشكل انفلاتاً من الثوابت العقدية والأصول الإيمانية المقررة في السلام، – باعتبار أنها حقائق أزلية و ثابته –، ولا يمكن المساس بها أو التفريط فيها أو التقليل من شأنها .

فالتجديد الذي نعنيه لا يراد به استبدال القديم بالجديد ، أو قطع الصلة بكل ما هو قديم بدعوى أنه قديم ، أوهجر القديم بدعوى المعاصرة ، فالتجديد الذي نريده ، و المعاصرة التي نسعى إليها هو" وجود المسلم بأصالته الإسلامية وسط هذا الركام يتفاعل معه، فلا يقصر في الأخذ بما يقتضيه عصره من تقدم مادي، حتى لا يكون تابعاً لغيره فيما يتعلق بشئون حياته، فالتبعية لا تنجسم مع الأصالة، والمعاصرة انطلاق بالأصالة والبناء الذاتي لمحاورة الأفكار المعاصرة، فإن وجد منها ما ينفع أخذه وجعله منه " فالحكمة ضالة المؤمن " إنه يأخذها إليه لتكون منه، لا ليكون منها. وإن وجد منها ما لا يستقيم بين فسادتها حتى يأمن الناس شرها فالمعاصرة إيجابية ، تفاعل بالأصالة، وأخذ وعطاء بوعي وفطنة، لا يؤخذ ما يفسد، ولا يترك ما ينفع ، و لذلك فإن المعاصرة لا تكون بغير أصالة ، و إن وجد في عصر ـ من العصور معاصرة بغير

(1) خطة مقترحة لتجديد علم الكلام بحث د. محمد عبدالهادي أبوريد ضمن سلسلة أعمال غير منشورة الجزء الأول الفلسفة الإسلامية و بعض قضايا الفلسفة ص 601 ، حققه و قدم له د . فيصل بدير عون ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ط1–2011م .

أصالة كانت أهواء ومفاسد تنخر في عصرها[1].

إن التجديد الذي نقصده هو " أن نجدد فكرنا الديني ولا أقول نجدد عقدتنا ؛ لأن العقيدة لا تتجدد ، إن مشكلتنا تكمن في كيفية فهم أصول العقيدة على ضوء حياتنا المعاصرة وعلى ضوء معطيات العلم الحديث وما أثاره من قضايا معاصرة ينبغى أن يتصدى لها المهتمون بأمور العقيدة . نحن لا نستطيع أن نغض الطرف عن الهندسة الوراثية ، والاستنساخ ، و عن دور المرأة المسلمة ، و عن علاقة التكنولوجيا بالدين ، نحن في حاجة إلى فقه جديد يساير التطور العلمي ويسهل للناس حياتهم ، نحن في حاجة إلى فقه يوضح للمسلمين كيف يعيشون في غير ديار المسلمين؟ كيف يمكن أن يحيوا بينهم ومعهم دون أن يفرطوا في عقيدتهم "[2].

في ضوء ذلك يمكننا القول بأن التجديد الكلامي الذي نرمي إليه يمكن الوقوف عليه من خلال التميز بين الثابت و المتغير ، بين العقيدة و بين العلم ، وبين الإلهي و الوضعي ، بين معطيات الوحي ، و منتجات العقل والتجديد ينصب على الثاني فيما كل ما سبق ولا يمتد إلى الأول أبدا باعتباره حقائق أزلية ثابتة مقدسة تتميز بربانية المصدرها وتتوقف على الإذن منه .

(1) الأصالة والمعاصرة فى الفكر الإسلامى : د/ محمد رأفت سعيد ص 9، ط 1408هـ ، 1987م.

(2) دور العقيدة في حياة الإنسان المعاصر . مقال بعنوان " نحو قراءة جديدة لعلم الكلام للدكتور فيصل بدير عون – جامعة عين شمس . ص 724 ، 725 ، كتاب المؤتمر الدولي الثالث للفلسفة الإسلامية كلية دار العلوم جامعة القاهرة مطبعة العمرانية للأوفست ، 1419هـ 1998 م .

obeikandl.com

المبحث الثالث

مبررات التجديد في علم العقيدة

عند الحديث عن التجديد في علم العقيدة نجد أن هذا الأمر تدفع إليه عوامل عدة ، و دوافع متنوعة بعض هذه العوامل متعلقة بعلم الكلام القديم ، أما البعض الآخر فتدفع إليه ظروف العصر ، و عوامل الزمن ، و طبيعة المشكلات و الأحداث ، وهذا البعض يمكن تسميته بالعوامل العامة ، وفي الصفحات التالية نعرض لهذه العوامل على النحو التالي :

أولاً : العوامل المتعلقة بعلم الكلام القديم :

1 - موقف الفرق الكلامية من بعضها .

في الحقيقية لا يمكن أن ينسينا الدفاع عن علم العقيدة بعض الأخطاء التي وقع فيها بعض المتكلمين ، و التي كان من أهمها الحرب الفكرية التي درات بين أصحاب المدارس الكلامية المختلفة .

حتى أنه يمكن القول بأنه قد أعلن الحرب العقائدية كل فريق تجاه الآخر ووصفه بالفسق و الضلال ، و أقرب مثال على ذلك ما نراه في موقف بعض الأشاعرة من المعتزلة فقد كادوا أن يخرجوهم من الإسلام .

فالبغدادي مثلا عندما يتكلم عن أصحاب البدع و الخارجين عن ملة الإسلام نراه يقول ما نصه : " وان كَانَت بدعته من جنس بدع الْمُعْتَزلَة أَو الْخَوَارِج أَو الرافضة الامامية أَو الزيدية أَو من بدع البخارية أَو الْجَهْمِية أَو الضرارية أَو المجسمة فَهُوَ من الأمة فِي بعض الاحكام وَهُوَ جَوَاز دَفنه فِي مَقَابِر الْمُسلمين وفى أَلا يمْنَع حَظه من الفىء وَالْغنيمَة ان غزا مَعَ الْمُسلمين وَفِي أَلا يمْنَع من الصَّلَاة فِي الْمَسَاجِد وَلَيْسَ من الأمة فِي أحكام سواهَا وَذَلِكَ أَلا تجوز الصَّلَاة عَلَيْهِ وَلَا خَلفه وَلَا تحل ذَبِيحَته وَلَا نِكَاحه لامْرَأَة

obeikandi.com

سنية وَلَا يحل للسنى أَن يتَزَوَّج الْمَرْأَة مِنْهُم اذا كَانَت على اعْتِقَادهم"[1].

و غير خفي أن هذا الحكم فيه قسوة لاسيما أذا أخذ على عمومه ، إذ لا يمكن أن يقال إن المعتزلة جميعا كانوا أهل ضلال أو كانوا على درجة واحدة من الخطأ و الصواب ، كما لا يمكن القول بأن كل مخطأ منهم كان يتعمد الخطأ و الإضرار بالدين ، خصوصا و أن المعتزلة واحدة من أهم الفرق الكلامية التي أبلت بلاء حسنا في خدمة العقيدة و الدفاع عن الدين ، وتاريخهم شاهد على ذلك و أنه مهما تكن " المآخذ التي تؤخذ على منهج المعتزلة في إسرافهم في استخدام العقل في الدين ، إلا أنه مما لا شك فيه أنه يرجع إليهم الفضل في انتعاش الحركة العقلية في الإسلام ، و لقد اعترف بذلك خصومهم فيسميهم الماتريدي بأنهم فرسان علم الكلام ، و تلك إشارة لمهارتهم وقوة جدلهم ومنطقهم ، ودفاعهم عن الإسلام ضد مخالفيه بسلاح العقل معروف و مشهود ، فلقد أبلوا في ذلك بلاء حسنا و أرسلوا الوفود لمناقشة المخالفين للإسلام"[2].

إن المطالع لما كتبه البغدادي عن المعتزلة يجده بعيد كل البعد عن الروح العلمية فضلا عن إخراجه لهم من الدين فهو يقول : " أجمع أصحابنا على أنه لا يحل أكل ذبائحهم و كيف نبيح ذبائح من لا يستبيح ذبائحنا ، و أكثر المعتزلة مع الأزراقة من الخوارج يحرمون ذبائحنا ، وقولنا فيهم أشد من قولهم فينا ، ولا يجوز عندنا تزويج المرأة المسلمة من واحد منهم فإن عقد النكاح فالنكاح مفسوخ ، و إن لم تعلم المرأة ببدعة زوجها حتى وطئها فعليها العدة و لها مهر المثل بالوطيء دون المهر المسمى ، و المرأة منهم ان اعتقدت اعتقادهم حرم نكاحها و إن لم تعتقد اعتقادهم لم يحرم نكاحها ؛

---

(1)الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية : عبد القاهر بن طاهر البغدادي ص 11 ، نشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت ط 2، 1977

(2)الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة د. علي المغربي ص 203 نشر مكتبة وهبه ،ط1 ، 1407هـ 1986م ، وينظر : في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه د. إبراهيم مدكور 2/ 37 ، ط دار المعارف بالقاهرة ،علم الكلام و بعض مشكلاته د. أبو الوفا التفتازاني ص44، ط دار الثقافة للطباعة والنشر – 1979 م.

لأنها مسلمة بحكم دار الإسلام"[1].

وهذا قليل من كثير يوضح الحالة التي كان عليها موقف كل فريق من الآخر ، فهذه الروح العدائية حركة شارك فيها الجميع دون أن نستثني منها أحدا فقد شاركت فيها المدارس الكلامية على اختلاف مناهجها ، كما شارك فيها أهل الحديث و التفسير و الفقه ، و استعمل الكفر فيها سلاحا بلاضابط ، وما قام به المعتزلة في فتنة خلق القرآن الكريم معروف .

إذا معنى هذا أن دور علم العقيدة وهدفه انتقل من القيام بإثبات العقائد الدينية و دفع ما يثار حولها من شبهات والرد على الملاحدة والزنادقة ، انتقل للدفاع عن الفرق نفسها و عن مبادئها و آرائها ، ففقد هذا العلم دوره ، وتعطلت أهدافه ، وتغيرت وجهته فينقل المعركة إلى صراع داخلي بين أبناء الأمة الواحدة.

2 - الإنفصال بين علم العقيدة والقضايا المعاصرة .

إن من أهم الانتقادات التى توجه الآن لعلم العقيدة هو عدم و جود صلة بينه وبين الفضايا المعاصرة ، وهذا حق ، فانقطاع الصلة بين علم الكلام و الواقع المعاش أفقده قدرا كبيرا من دوره ، و الغى جانبا كبيرا من غاياته و أهدافه ، مع أن حقيقية الأمر تتمثل في أن " قضايا علم الكلام و مفرداته و مسائله لم يتناولها القدماء إلا لأنها كانت تمثل مشكلات واقعية فرضت على المجتمع المسلم خلال احتكاكه بالحضارات المجاورة له ، فهي ليست مشكلات عقلية تجريدية مطلقة لا علاقة لها بالواقع ، و لكنها كانت تمثل واقعا ثقافيا يعيش القدماء همومه في صباحهم ومسائهم و في مجالسهم العلمية"[2].

إن الواقع الذي عليه عصرنا يختلف عن الواقع الذي عايشه القدماء ، كما أن

---

(1) أصول الدين : عبد القاهر بن طاهر البغدادي ص 341 ، التزم نشره و طبعه :مدرسة الآلهيات بدار الفنون التوركية باستانبول – مطبعة الدولة ، ط 1، 1346هـ1928م

(2) نحو قراءة جديدة لعلم الكلام د. محمد السيد الجليند : ص 28 ،بحث ضمن كتاب أبحاث مؤتمر مناهج العلوم بين التجديد و التقليد 2004 م .

openkandil.com

المشكلات و القضايا الموجودة في عصرنا تختلف عن تلك التى عاشوها وتناولوها بالبحث والدراسة ، وهذا يتطلب ضرورة تطوير علم الكلام وتجديده ، و إلا صار هذا العلم إرثا باليا لا صلة له بالواقع .

3 - قلة تأثيره على النفوس :

فمن بين أهم الدواعي إلى ضرورة تجديد علم العقيدة هو قلة تأثيره على النفوس نظرا لكثرة الجدال فيه ، صعوبة أدلته ، بل و أحيانا تناقضها ، فضلا عن انقطاعه عن الواقع وبالتالي قلة تأثيره .

إن علم العقيدة الذي نسعي إليه علم ينتقل من الإطار النظري إلى الواقع العملي ، باعتبار أن الاعتقاد النظري ما لم يتحول على يد صاحبه إلى سلوك عملي فلا فائدة منه ، ولا حاجة إليه ومن هنا نؤكد على أن علم العقيدة المراد هو ذلك العلم الذي يتجاوز الأدلة الجدليه ، و الحجج المنطقية ، و الأساليب الفلسفية، و المصطلحات الغامدة لينفذ إلى أعماق النفس الإنسانية فينقيها ويهذبها، ويرقي سلوكها ، ويمنع من شطحاتها ، فعلم الكلام الخالي من هذه الأمور " يتجاوز الأصول الإيمانية من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، و الإيمان بالقدر، بالإضافة إلى الاهتمام بمقتضياتها ولوازمها من العمل و السلوك الاجتماعي ونظام الدولة في الإسلام... إن الأمة الأسلامية في حاجة الآن إلى علم كلام جديد في أهدافه ومناهجه ، يخاطب الداخل أولا لكي نصل ما انقطع في مسيرته التاريخية ، يخاطب الداخل ، لكي يبين له أهمية العمل بمقتضيات العقيدة ليصبح له اعتقاده في الله ورسوله"[1].

و بالجملة يمكن القول بأن المتكلمين استطاعوا باستخدامهم لمناهج الفلاسفة و المناطقة أن يكسبوا عقولهم جدة ونشاطا ، و أن يقحموا المجادلين ، و يقطعوا ألسنة المعارضين بقوة استدلالهم ، وبراعتهم في المناظرة ، بيد أنهم عجزوا عن أن يسكبوا في

(1) نحو قراءة جديدة لعلم الكلام د. محمد السيد الجليند : ص 30 – 31 .

القلوب سكينة و إيمانا ، و أن يورثوا أهل الشك يقينا و إذعانا، و أحدثت مناهج بحثهم ، و أساليب استدلالهم عقدا في القلوب و العقول ، عجز علم الكلام نفسه عن حل عقالها [1].

4-إثارته للفرقة والإختلاف:

فمن بين أهم الدواعي إلى ضرورة تجديد علم العقيدة ، هو الفرقة و الاختلاف التي جسدها علم الكلام فيما مضى، وترتب عليها تفرق المجتمع المسلم إلى فرق وجماعات تناصب كل واحدة منها العداء للأخرى ، مع أن هذا يتناقض مع معطيات العقيدة الإسلامية و أسسها وثوابتها ، فالعقيدة الإسلامية بمفهومها القرآني الصحيح تحرص أول ما تحرص على تحقيق الوحدة ، وتجسيد الأخوة الإيمانية بين كل المنتسبين إليها ، و المؤمنين بها.

فقد كان علماء العقيدة – في عصر النشأة – يوجهون جهودهم إلى إثبات العقائد الدينية بإيراد الأدلة على صحتها ودفع الشبه عنها، وكثيراً ما نافحوا عن هذه العقائد بالحجة والبرهان، وتصدوا لرد هجمات الأعداء على اختلاف فرقهم ومذاهبهم مسجلين بذلك أنصع الصفحات في سبيل الذود عن حمى العقيدة ومسدين أجلَّ الخدمات للإسلام والمسلمين . و لكن عندما اهتزت أرضية العقيدة هذه نتيجة عدة عوامل ، تصدع بناء وحدة هذه الأمة ، وتفككت أوصالها وتفرقت بها السبل، وتنازعتها الأهواء، وتداعت عليها الأمم، وتباطأت بها الخطوات عن التعلق بأسباب الحياة، فضلاً عن أن تقوم بدورها الريادي ورسالتها الإصلاحية المنوطة بها في هذا العالم، المتمثلة في الدعوة إلى دين الله الواحد، وتحكيم منهجه في شئون هذه الحياة.

من هنا ندرك العلاقة بين التصور الصحيح لعقيدة المسلم، وبين هذا النسيج

(1) ينظر : رجال الفكر و الدعوة في الإسلام ، أبو الحسن الندوي ص 163 ، 322- 323 ،دار القلم بالكويت ط 5 – 1397هـ1977م.

المحبوك، أو هذا البنيان المرصوص الذي يمثل الوضع الاجتماعي الأمثل الناشئ عن تحقق الآثار العملية التي تنعكس من تلك العقيدة على حياة كل مسلم ومن ثم على حياة الأمة كلها[1].

لكن السؤال الذي يفرض نفسه هنا هو إذا كان للعقيدة الإسلامية هذا الدور المهم في الحفاظ على وحدة الأمة ، فهل أسهم الفكر العقدي من خلال علم العقيدة بصورته الموجود عليها في بقاء واستمرار هذه الوحدة ؟ أم كان عامل فرقة وتناحر وتنازع؟

في الواقع أنه كان أحد عوامل الفرقة و التناحر، وهذا ما يؤكده ابن قتيبه في وصفه للعلوم و أهلها فيقول : " قَدْ كَانَ يَجِبُ مَعَ مَا يَدَّعُونَهُ مِنْ مَعْرِفَةِ الْقِيَاسِ وَإِعْدَادِ آلَاتِ النَّظَرِ- أَنْ لَا يَخْتَلِفُوا كَمَا لَا يَخْتَلِفُ الحُسّاب والمُسّاح، وَالْمُهَنْدِسُونَ؛ لِأَنَّ آلَتَهُمْ لَا تَدُلُّ إِلَّا عَلَى عَدَدٍ وَاحِدٍ، وَإِلَّا عَلَى شَكْلٍ وَاحِدٍ، وَكَمَا لَا يَخْتَلِفُ حُذَّاقُ الْأَطِبَّاءِ فِي الْمَاءِ وَفِي نَبْضِ الْعُرُوقِ؛ لِأَنَّ الْأَوَائِلَ قَدْ وَقَّفُوهُمْ مِنْ ذَلِكَ عَلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ فَمَا بَالُهُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ اخْتِلَافًا، لَا يَجْتَمِعُ اثْنَانِ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ عَلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ فِي الدِّينِ. فَـ "أَبُو الْهُذَيْلِ الْعَلَّافُ" يُخَالِفُ "النَّظَّامَ" و"النجار"يخالفهما، و"هِشَام بْنُ الْحَكَمِ" يُخَالِفُهُمْ ،... لَيْسَ مِنْهُمْ وَاحِدٌ إِلَّا وَلَهُ مَذْهَبٌ فِي الدِّينِ ، يُدَانُ بِرَأْيِهِ وَلَهُ عَلَيْهِ تَبَعٌ ، فَالْاخْتِلَافُ عِنْدَ أَهْلِ الْكَلَامِ فِي الْأُصُولِ، قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: وَلَوْ كَانَ اخْتِلَافُهُمْ فِي الْفُرُوعِ وَالسُّنَنِ، لَاتَّسَعَ لَهُمُ الْعُذْرُ عِنْدَنَا، وَإِنْ كَانَ لَا عُذْرَ لَهُمْ، مَعَ مَا يَدَّعُونَهُ لِأَنْفُسِهِمْ كَمَا اتَّسَعَ لِأَهْلِ الْفِقْهِ، وَوَقَعَتْ لَهُمُ الْأُسْوَةُ بِهِمْ... وَلَكِنَّ اخْتِلَافَهُمْ، فِي التَّوْحِيدِ، وَفِي صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى، وَفِي قُدْرَتِهِ ، وَفِي نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَعَذَابِ أَهْلِ النَّارِ، وَعَذَابِ الْبَرْزَخِ، وَفِي اللَّوْحِ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا نَبِيٌّ إِلَّا بِوَحْيٍ مِنَ اللهِ تَعَالَى .

وَلَنْ يَعْدَمَ هَذَا مِنْ رَدِّ مِثْلِ هَذِهِ الْأُصُولِ إِلَى اسْتِحْسَانِهِ وَنَظَرِهِ وَمَا أَوْجَبَهُ الْقِيَاسُ

(1) بحوث ودراسات فى العقيدة والفكر والدعوة، الصديق عمر يعقوب ص 63، ط كلية الدعوة الإسلامية بليبيا 1994م.

عِنْدَهُ، لِاخْتِلَافِ النَّاسِ فِي عُقُولِهِمْ وَإِرَادَاتِهِمْ وَاخْتِيَارَاتِهِمْ ، فَإِنَّكَ لَا تَكَادُ تَرَى رَجُلَيْنِ مُتَّفِقَيْنِ، حَتَّى يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، يَخْتَارُ مَا يَخْتَارُهُ الْآخَرُ، وَيَرْذُلُ مَا يَرْذُلُهُ الْآخَرُ، إِلَّا مِنْ جِهَةِ التَّقْلِيدِ.

فَإِذَا نَحْنُ أَتَيْنَا أَصْحَابَ الْكَلَامِ، لِمَا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ عَلَيْهِ مِنْ مَعْرِفَةِ الْقِيَاسِ، وَحُسْنِ النَّظَرِ، وَكَمَالِ الْإِرَادَةِ، وَأَرَدْنَا أَنْ نَتَعَلَّقَ بِشَيْءٍ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ، وَنَعْتَقِدَ شَيْئًا مِنْ نِحَلِهِمْ، وَجَدْنَا "النَّظَّامَ" شَاطِرًا مِنَ الشُّطَّارِ، يَغْدُو عَلَى سُكْرٍ، وَيَرُوحُ عَلَى سُكْرٍ، وَيَبِيتُ عَلَى جَرَائِرِهَا وَيدخل فِي الأدناس"[1].

فبعدما كان هذا العلم صوت الحق ، الذي يثبت هذه العقيدة ، ويدعمها ويقيم الأدلة عليها ، ويدفع عنها ما قد يرد إليها ، إذ به – و بفعل المشتغلين به – يتخلى عن هذا الدور المهم ، ليقوم بدور آخر أكثر سلبية و أقل إيجابية في واقع الأمة المسلمة وهو كثرة الجدال الأمر الذي نتج عنه حدوث الاختلاف ووقوع الافتراق نتيجة دخوله لمسائل ثانوية ، وتعرضه لقضايا عقيمة ، و افتعاله لخلافات مذهبية ، الأمر الذي أفقده دوره المنوط به ، و أهدافه التي نشأ لأجلها .

فهذا الاختلاف قد جر على الأمة ويلات كانت في غنى عنها، وتتضح خطورة ما وقع فيه قدامى المتكلمين من خصومات فكرية ونزاعات عقلية من خلال عدة نقاط، منها:

أولاً: قد كان من المقبول أن ينشأ خلاف في الرأي حول قضايا جزئية ، لا تمس أصول العقيدة الإسلامية، ولا تنال من وحدة الأمة، ولا تخرج عن منهج القرآن، أما أن تتصارع هذه التيارات الكلامية، وتتألف هذه الفرق للتنازع حول قضايا تتصل بأعز ما تملك الأمة وهو عقيدتها، لتخرج بها عن مسارها الصحيح فهذا ما لا يمكن قبوله ..

(1) تأويل مختلف الحديث : أبو محمد بن قتيبة الدينوري ص 62 : 73 ، المكتب الاسلامي – مؤسسة الإشراق: الطبعة الثانية– مزيده ومنقحة 1419هـ – 1999م

Oberkanal.com

إن أساسيات العقيدة على وضوحها أدخلت فى دوامة من الجدل والكلام، بل الصراع الفعلي الدموي أحياناً بعيداً عن أجواء القرآن بصفائها وألفتها وروحها الموحدة، ونشأ عن ذلك في وقت مبكر كذلك اختلافات في تصورات جزئية وكلية كانت منبتاً للتفرق، وجرثومة لاختلافات لم تبق في إطارها الفكري بل عمت الأمة، فإذا بها طوائف وأحزاب يلعن بعضها بعضاً[1].

ثانياً: أضف إلى ذلك أن جحيم السياسة وتطاحن الأحزاب المختلفة أرسل شواظاً من الأحقاد والمهاترات على ما دار بين الفرق القديمة من جدل حول، طائفة من الأحكام الإسلامية لا تزال إلى اليوم نشقى بها، برغم القرون الطويلة التى مرت عليها، وفى ضجيج الخصومة السافرة يعسر البحث عن الحقيقة، ولو أمكن الوصول إليها فإنه يصعب الاقتناع بها، ومن الغفلة أن نحسب تكوين العقيدة يتم في مجلس مناظرة تتصيد فيها النصوص، وينشد فيها الغلب، ويلعب فيها بالألفاظ، ويستغل منطق أرسطو في المخاتلة وإيقاع الخصم أمام العامة[2].

ثالثاً: كان من المؤمل في علماء العقيدة – وقد تفرقت بهم السبل – أن يعرضوا آراءهم في مسائل العقيدة عرضاً هادئاً رفيقاً، وأن يتدارسوا هذه الآراء فيما بينهم بتجرد وموضوعية، وروح علمية متسامحة، تنأى عن التعصب وتنشد الحق لذاته أيا كان مصدره، ولكن الذى حدث أن الفرق الكلامية قد انغلقت على ذواتها، وانعزل بعضها عن بعض، وصار كل حزب بما لديهم فرحين اعتقاداً من كل فرقة أنها وحدها على الحق وأن غيرها على الباطل ، ومن ثم تفشى فيهم داء التعصب الممقوت للرأي والتقليد الأعمى لشيوخ المذاهب ، إلى حد أن بعض المقلدين كان يطلع على الرأي السديد في مسألة من المسائل ، فيميل إليه معتقدا صحته ، و صوابه ، فإذا علم بعد ذلك أنه رأي

(1) بحوث ودراسات في العقيدة والفكر والدعوة ص 158، 159، 64.

(2) عقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالى ص 6. ط دار القلم دمشق ط 6 ، 1407هـ 1987 م .

واحد من شيوخ المذاهب الأخرى سارع إلى رفضه وهجره ، مبرهنا بذلك على خضوعه لمنهج التعصب المرزول ، ولاشك أن هذا المنهج السقيم يؤدي بصاحبه إلى جمود العقل وشلل الفكر، وهجر الحق الذي لا يوافق الهوى والغرض، وفى هذا من السفه والجهالة والبعد عن الصواب ما فيه[1].

رابعاً: آثار النزاعات والشقاقات التي ما تزال موجودة حتى اليوم وكما يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله متسائلاً ومتعجبا : " بين المسلمين اليوم نزاع يقصم وحدتهم حول ما دار بين علي بن أبي طالب و غيره من الصحابه في مسائل الخلافة ، فهل على وجه الأرض أمة تجتر ماضيها السحيق لتلوك منه خلافات قاسية كهذه الأمة؟ ، و لماذا تقحم هذه الأمور إقحاما في شؤون العقيدة ؟ ، ولماذا لا تبقى في نطاق الذكريات التاريخية التي تدرس كأي تاريخ لتؤخذ منه العبرة فحسب؟ ، ... وإني لأقرأ في صحفنا الدينية اليوم نزاعاً بين أتباع السلف والخلف – كما أسموا أنفسهم وأسمع ألفاظ الكفر تتبادل كما تتبادل الكرة أرجل اللاعبين فأهز رأسي عجباً.

إن أعراض المرض لا تزال تعرو الأمة المنهوكة، وما تزال بحاجة إلى عناية الراشدين المخلصين من الأطباء الماهرين ، و قد استقرت رواسب هذا الخلاف الطائش في أذهان العامة ثم سيطرت على سلوكهم بعد ما أخذوا أسوأ ما فيها و رفضوا أفضل ما فيها"[2].

5- طرق المتكلمين في الاستدلال :

فمن بين دواعي التجديد في علم العقيدة ، طريقته في الاستدلال على مسائل العقيدة " فكثير من المتكلمين يستخدمون في استدلالهم على العقائد الدينية أدلة جدلية معقدة يصعب فهمها على كثير الناس مثل دليل الجوهر الفرد الذي استخدم في إثبات

(1) ينظر : مدخل نقدى لدراسة علم الكلام : د/ السنهوتى ص 244-245. دار الثقافة العربية ، 1410- 1990 م.

(2) عقيدة المسلم ص8.

وجود الله تعالى، واعتمد فيه المتكلمون على مقدمات مطولة مشكوك في صحتها، يعسر فهمها على كثير من أهل الرياضة في صناعة الجدل فضلاً عن الجمهور , وذلك لما تتسم به من طول وخفاء وتفريغ يمنع ثبوت المدعى بها، مما جعل الإمام الغزالي يقرر على فساد منهج المتكلمين , حين اعتمدوا على دليل الجوهر الفرد في إثبات وجود الخالق – جل جلاله – وتركوا أدلة القرآن الكريم التي تتسم بالوضوح والجلاء , والتي نجدها في كثير من أيات الذكر الحكيم[1].

وقد جمع الغزالي هذه الآيات في كتابه " جواهر القرآن " وهي قريب من خمسمائة آية " بها ينبغي أن يعرف الخلق جلال الله الخالق وعظمته، لا بقول المتكلمين : إن الأعراض حادثة , وإن الجواهر لا تخلو عن الأعراض الحادثة، فهي حادثة، ثم الحادث يفتقر إلى محدث ، فإن تلك التقسيمات والمقدمات وإثباتها بأدلتها الرسمية يشوش قلوب العوام , والدلالات الظاهرة القريبة من الأفهام , على ما في القرآن، تنفعهم وتسكن نفوسهم، وتغرس في قلوبهم الاعتقادات الجازمة"[2].

وصار على دربه كثير منهم ابن رشد – الفيلسوف – فيقرر أن طرق المتكلمين في الاستدلال على وجود الله – تعالى- ليست طرقا يقينية،[3] ,ويوافقه في هذا شيخ الإسلام ابن تيمية[4] .

6- دخول العقل في غير ميدانه :

فمن بين أهم عيوب علم العقيدة بصورته القديمة إقحام العقل و دخوله فيما لا قبل له به ، فقد حكم هذا العقل العاجز فيما يتصل بالله وصفاته ، كما أدلى بدلوه في أمور

(1) ينظر: على سبيل المثال سورة ق : 6 : 11، والطور 35 – 36، والواقعة : 57 :74 .

(2) إلجام العوام عن علم الكلام للإمام الغزالي ص 33 ، نشر المكتبة الأزهرية للتراث ، 1418هـ 1998م .

(3) الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة ضمن كتاب فلسفة ابن رشد ،لابن رشد ، ص 43- 44 ، صححه وراجعه مصطفى عمران ، المكتبة المحمودية التجارية ط3 ،1388هـ1968 م .

(4) ينظر :النبوات : ابن تيميه ، ص 76 –77 راجعه و أشرف على تحقيقه الشيخ مصطفى العدوي ، تحقيق الشحات الطحان ، نشر مكتبة فياض ، 2005 م.

المعاد ، دون أن يقف عند حدوده ، أو يعترف بقصوره .

و اللافت للنظر أن المشتغلين بعلم الكلام اتفقوا على محدودية العقل و قصوره ، إلا أنهم لم يلتزموا بهذا ، صحيح أن للعقل مجالاته ، كما أن له قدرة معينة على إدراك الأمور و التمييز بين الحسن و السيء ، و الجميل و القبيح ، و الطيب و الخبيث ، لكنه مع هذا يقف عاجزا أمام مسائل عدة ، وقضايا كثيرة ، لاقبل له بها.

فـ" العقل ميزان صحيح فأحكامه يقينية لا كذب فيها ، غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد و الآخرة و حقيقية النبوة ، وحقائق الصفات الإلهية ، وكل ما وراء طوره فإن ذلك طمع في محال .

ومثال ذلك رجل رأي الميزان الذي يزن به الذهب فطمع أن يزن به الجبال .

فاللعقل حد يقف عنده و لا يتعدى طوره حتى يكون له أن يحيط بالله و صفاته ، وهنا يظهر أن علة العلل عند المتكلمين هي تحميل العقل فوق طاقته ، ونقله من الشاهد إلى الغائب مع القطع بعدم الشبه بين الإثنين ، و كان الواجب هنا هو الاكتفاء في الغائب بالسمع حيث لا طريق غير هذا"[1] .

7- الجمود و التقليد :

لا يخفى على أحد الدور الذي قام به علم العقيدة في خدمة الدين ، والدفاع عن قضايا العقيدة و إقامة الحجة على مخالفيها ، وقد قام هذا العلم بهذا المهمة خير قيام لفترة طويلة ، لكن الأمر تغير بعد ذلك و أصاب هذا العلم الجمود والإنغلاق و الوقوف عند حدود مسائل بعينها الأمر الذي أفقده جانبا كبيرا من مهمته .

أو بعبارة أخري يمكن القول بأن علم الكلام مر بمراحل متعددة ، وهي :

أ- مرحلة النشأة و تستغرق زمنيا القرن الأول و أوائل الثاني .

---

(1) ينظر : علم الكلام بين الكائن وما يجب أن يكون د. بركات دويدار ، مجلة كلية اللغة العربية للدراسات الإسلامية تصدرها اللجنة الثقافية بالكلية – جامعة قاريونس بليبيا العدد12 السنة الثانية – 1394هـ 1974م .

ب- مرحلة التدوين وظهور الفرق و تستغرق زمنيا القرون الأربعة من أوائل الثاني و حتى نهاية الخامس تقريبا .

ت- مرحلة التطور و الاختلاط بالفلسفة و تشغل القرون من السادس حتى التاسع الهجريين .

ث- مرحلة الفتور و التقليد من العاشر حتى نهاية الثاني عشر .

ج- ثم المرحلة الحديثة و تشمل القرنين الأخيرين[1].

وهذه المراحل هي التي تشكل التطور التاريخي و الفكري لهذا العلم ، غير أن المرحلة الثانية تعد أهم هذه المراحل على الإطلاق حيث كان الأمر على نحو آخر ، ونمط جديد فبدأت " بحوث المسلمين حول العقيدة تدخل في طور جديد ؛ فتعقد لها حلقات متخصصة ، وتنشأ فيها اتجاهات واضحة ، وتتحول إلى مذاهب متكاملة ، لها آراؤها المتميزة في مختلف مسائل العقيدة لا في واحدة فحسب ، وغالبا ما تعتنق هذه المذاهب فرق أو جماعات فيها القادة وفيها الأتباع لا يقتصرون على وضع أصول المذاهب نظريا أو اعتناقها فكريا ، بل قد ينزعون أيضا إلى تطبيقها عمليا في حياة المجتمع المسلم ،الروحية و السياسية و الإجتماعية و الفنية " [2].

ثم تلى هذه المرحلة التي هي أخصب مراحلة نظرا لنضوج الفرق الكلامية، ونضوج آرائها ، وقدرتها على التفاعل مع الواقع ، مرحلة التطور و الاختلاط بالفلسفة ، ويعد الغزالي و الرازي من أوائل من كتبوا في علم الكلام بهذه الطريقة[3].

وفي القرن الثامن ظهر رجلان كان لهما شأنهما في القرون الخمسة التالية وهما الإيجي

---

(1) المدخل إلى دراسة علم الكلام د. حسن الشافعي ص 53 ، نشر مكتبة وهبة ط2 ، 1411هـ1991 م .

(2) المصدر نفسه ص 71 .

(3) ينظر : مقدمة ابن خلدون 3 / 977 تحقيق د. على عبدالواحد وافي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2006 م.

، صاحب كتاب المواقف، وتلميذه سعد الدين التفتازاني صاحب كتاب المقاصد، وعلى هذين الكتابين قامت الدراسات العقلية في العلم الإسلامي إلى أخريات القرن – الثالث عشر الهجري – التاسع عشر الميلادي، خلطت فيهما الفلسفة بالكلام خلطاً تاماً ، شرحا وعلق عليهما غير مرة[1].

ثم تلا ذلك مرحلة الفتور و التقليد و التي دار العمل فيها حول ترديد آراء السابقين ، وقل أن نجد من يضيف جديدا ، فقد اقتصر العمل على الشرح و التعليق ، و الاكتفاء بإعادة العرض و اجترار الماضي فكان جل انتاجها شرحا أو تلخيصا أونقدا لمواقف السابقين في غالب الأمر ، وقد ران الجمود و التقوقع على الفكر الإسلامي بوجه عام خلال هذه المرحلة ، الأمر الذي أفقد علم الكلام دوره، و الوقوف به عند مرحلة لم تعد تجدي في العصر الحاضر حيث لا تناسب واقع المسلمين ، و لا تفي بمتطالبتهم ، فضلا عن إغفالة للمشاكل المعاصرة و القضايا المستحدثة[2] .

وبالجملة فبعد مرحلة الازدهار والتطور والاختلاط الكلامي بالفلسفة ، بدأت أعراض الشيخوخة الفكرية تدب في أوصال علم الكلام الذي دخل في مرحلة التقليد والجمود والركود.

و كانت الدراسات الكلامية في هذه الفترة على النحو الذي وصفه الإمام محمد عبده بقوله: " وتغلب الجهال على الأمر، وفتكوا بما بقى من أثر العلم النظري النابع من عيون الدين الإسلامي، فانحرفت الطريق بسالكيها، ولم يعد بين الناظرين في كتب السابقين إلا تحاور في الألفاظ ، أو تناظر في الأساليب ، على أن ذلك في قليل من الكتب اختارها الضعف وفضلها القصور ، ثم انتشرت الفوضى العقلية بين المسلمين تحت حماية الجهلة من ساستهم فجاء قوم ظنوا في أنفسهم مالم يعترف به العلم لهم فوضعوا

(1) فى الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيقه : د/ إبراهيم مدكور 2/ 54 .

(2) المدخل إلى دراسة علم الكلام د. حسن الشافعي ص 122 .

مالم يعد للإسلام قبل احتماله ، غير أنهم وجدوا من نقص المعارف أنصارا .. هذا مجمل من تاريخ هذا العلم ينبئك كيف أسس على قواعد من الكتاب المبين، وكيف عبثت به في نهاية الأمر أيدي المفرقين، حتى خرجوا به عن قصده، وبعدوا به عن حدة"[1].

8 - وعورة لغة المتكلمين وغموض مصطلحات علم العقيدة ، و التعقيد في أسلوبه :

أحد العيوب التى لازمت علم الكلام القديم ، الأمر الذي نتج عنه توجيه انتقادات لاذعة له .

فالمطالع للمؤلفات الكلامية يجد أنه يسيطر عليها الأساليب الجدلية ، و المصطلحات الفلسفية ، و الجمل المنطقية ، وكلها أمور لا تخلو من تعقيد فضلا عن خلوها من أي تأثير على النفوس نظرا لوعورة لغة المتكلمين وهذا ظاهر وبوضوح في كتبهم ، كما أن مصطلحاتهم كالجوهر ، و العرض ، والكسب،الحال، و التوليد إلى غير ذلك خير شاهد على ذلك .

فهذا الأمر جعل من العقيدة و العقائد من أصعب المواد التي تدرس في جامعاتنا ومعاهدنا ، هذا من ناحية ومن ناحية ثانية ، فإنه من المتعارف عليه لدى المتخصصين أن كتب علم الكتب إنما وضعت وصنفت للرد على المخالفين من شتى الطوائف ، فلم تصنف لتأسيس وتقرير العقيدة ابتدءً ، وهذا مما يزيد في صعوبة فهمها وفهم لغتها .

يتحدث الشيخ محمد الغزالي مشيرا إلى حال ما آلت إليه الكتب الكلامية، وما كان لها من أثر سيء على الأفراد و الجماعات فيقول ما نصه : " و إذا كان علم التوحيد على النحو الذي وصفنا فإن كتبه التي تشيع بيننا الآن فشلت في أداء رسالتها شكلاً و موضوعاً .

فمن ناحية الشكل لا معنى البتة لعرض علم ما، في توزيع مضطرب بين متن

---

(1) رسالة التوحيد ، الشيخ محمد عبده ص 23-24 ، تصدير د عاطف العراقي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة

obeikandl.com

وشرح وحاشية وتقرير، وفي لغة ركيكة اللفظ سقيمة الأداء، لغة تصور سقوط البلاغة العربية على عهد الحكم التركي.

وتطور الأدب في عصرنا هذا لا ينكر، وقد بلغ من تمكن المؤلفين والمتأدبين في اللغة أن تناولوا الموضوعات التافهة فأخرجوها في ألبسة زاهية، ووجهوا ألوف القراء – بسحر بيانهم – إلى ما يريدون. فهل يبقى الكلام في العقائد وحدها حكراً على هذا النمط الزري من الحواشي والمتون؟

على أننا إذا تغاضينا عن الشكل ، وتعرضنا للجوهر بالنقد و التمحيص ، لا نلبث أن ندرك أن هذا الجانب من الثقافة الإسلامية طغت عليه الفلسفات الغربية التي نقلها السريان عن اليونان وغيرهم ، فإذا بعلوم العقيدة تتحول عن مجراها العتيق ، و إذا بكتب الفلاسفة تزدحم باصطلاحات الفلاسفة وطرائق تفكيرهم"[1].

9- ما يؤديه النظر في كتب علم العقيدة و مقالات المتكلمين :

فالنظر في كتاب الكلام ومقالات المتكلمين يورث الإنسان تشتتاً في الفكر واضطراباً في الوجهة وتشويشاً في العقيدة، ومبعث ذلك هو اختلاف مذاهب المتكلمين وتباين مقالاتهم وتعارض أدلتهم، ومن ثم اتهم المتكلمون بأنهم أصحاب مذاهب متهافتة وحجج واهية [2]، وقد صور الإمام أحمد بن محمد الخطابي (ت 388 هـ) هذه المذاهب الكلامية المتناقضة أدق تصوير في رسالته " الغنية عن الكلام " فقال : " فلا تشتغل – رحمك الله – بكلامهم، ولا تغتر بكثرة مقالاتهم، فإنها سريعة التهافت كثيرة التناقض، وما من كلام تسمعه لفرقة منهم إلا ولخصومهم عليه كلام يوازنه أو يقاربه، فكلٌ بكلٍ معارَض، وبعضٌ ببعضٍ مقابَل ، و إنما يكون تقدم الواحد منهم وفلجه على

(1) عقيدة المسلم للمرحوم/ الشيخ محمد الغزالى ص 9-10 .

(2) ينظر : التجديد في علم الكلام د/ عبد الحميد مدكور : ص 1211 الملحق الثاني ضمن أبحاث موسوعة العقيدة الإسلامية ، إشراف و تقديم د، محمود زقزوق ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية 1431- 2010م ، مدخل نقدي لعلم الكلام د. محمد السنهوتي ص 245-246 .

خصمه بقدر حظه من البيان وحذقه في صنعة الجدل و الكلام ... ، وهذا من أدل الدليل على أن مذاهب المتكلمين فاسدة"[1] .

وغير خفي أن هذه المناهج الجدلية والمقالات المتناقضة لا يمكن أن تقضي إلى اليقين التام والإيمان الجازم في مسائل العقيدة، وهذا ما أشار إليه أبو حامد الغزالي وهو من هو في علم الكلام ، فيتحدث عن الإيمان الناتج عنه فيقول: " إن الإيمان المستفاد من الدليل الكلامي ضعيف جداً مشرف على الزوال بكل شبهة"[2] .

وقوله : " فأما معرفة الله – تعالى – وصفاته وأفعاله فلا يحصل من علم الكلام، بل يكاد أن يكون الكلام حجاباً عليه ومانعاً منه، وإنما الوصول إليه بالمجاهدة"[3] .

وبعد أن ساق أقوال العلماء في ذم علم الكلام ، و اعتراض المعترضين عليه و أدلتهم نراه يقول : "ونقول إن فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار منفعته في وقت الانتفاع حلال أو مندوب إليه أو واجب كما يقتضيه الحال وهو باعتبار مضرته في وقت الاستضرار ومحله حرام أما مضرته فإثارة الشبهات وتحريك العقائد وإزالتها عن الجزم والتصميم فذلك مما يحصل في الابتداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه ويختلف فيه الأشخاص فهذا ضرره في الاعتقاد الحق ، وله ضرر آخر في تأكيد اعتقاد المبدعة للبدعة وتثبيته في صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على الإصرار عليه ، ولكن هذا الضرر بواسطة التعب الذي يثور من الجدل ولذلك ترى المبتدع العامي يمكن أن يزول اعتقاده باللطف في أسرع زمان إلا إذا كان نشؤه في بلد يظهر فيها الجدل والتعصب فإنه لو اجتمع عليه الأولون والآخرون لم يقدروا على نزع البدعة من

---

(1) صون المنطق : ص 99، 100 .

(2) المنقذ من الضلال للإمام للغزالي : ص 118: 121 ، تحقيق د. عبدالحليم محمود مع أبحاث في التصوف ، طبع دار الكتاب الحديثة ، ط7 – 1972 م .

(3) إحياء علوم الدين :للإمام الغزالي 1 / 23 . نشر: دار المعرفة – بيروت بدون .

صدره بل الهوى والتعصب وبغض خصوم المجادلين وفرقة المخالفين يستولي على قلبه ويمنعه من إدراك الحق حتى لو قيل له هل تريد أن يكشف الله – تعالى – لك الغطاء ، ويعرفك بالعيان أن الحق مع خصمك لكره ذلك خيفة من أن يفرح به خصمه وهذا هو الداء العضال الذي استطار في البلاد والعباد ، وهو نوع فساد أثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره ، وأما منفعته فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه وهيهات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ، ولعل التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف، والتعريف ، وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوي ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا فاسمع هذا ممن خبر الكلام ، ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة ، وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين ، وجاوز ذلك إلى التعمق في علوم أخر تناسب نوع الكلام ، وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود ، ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح لبعض الأمور ولكن على الندور في أمور جلية تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام"[1] .

10 – اعتماده بصورة كبيرة على المنطق اليوناني :

فمن بين أهم العيوب التي وجهت لعلم العقيدة الموجود هو اعتماده على المنطق الأرسطي في كثير من مسائله ، وهو كما نعلم منطق لا يهتم بصلة الفكر بالواقع بل يهمه اتساق الفكر مع ذاته ، و بناء على ذلك زحف الجدل حول مسائل مطروحة ليقطع خيوط التواصل بين العقيدة و الحياة ، فعقيدة التوحيد التي كان يعيشها الإنسان المؤمن في بدايات البعثة ممارسة حياتية تطبع سلوكه و أخلاقه لكها صارت فيما تدور في مدارت عقلية بعيدة عن هموم الحياة[2].

(1)إحياء علوم الدين :للإمام الغزالي 1 / 97 .

(2)ينظر : إشكاليات التجديد ، ماجد الغرباوي ص 37 سلسلة قضايا إسلامية معاصرة ، دار الهادي بيروت ط1 2001م .

فنحن لا نجد في كتاب من كتب علم الكلام القديم متكلما يوجهنا إلى الآثار المترتبة على الفرد و الجماعة على مبدأ الوحدانية ، فالمتكلم يبحث عقلا أو نقلا هذه الوحدانية أما ما يعنيه هذا التوحيد للمؤمن في حياته اليومية فهو أمر لم يتعرض له[1].

فالمؤلف لا يذهب إلى أبعد من تقرير او عقلي لهذه الوحدانية في وجود الله، أما ما يعينه هذا بالنسبة للمؤمن في حياته اليومية أو الزمنية المشخصة فهو أمر مهمل تماماً.. والواقع أن علم الكلام الكلاسيكي الذي خاض معارك مجيدة في وجه خصوم الإسلام، وحفظ للعقيدة الإسلامية تماسكها وصرامتها المنطقية وأصولها الراسخة، فقد كان عاجزاً في صورته المجردة المنطقة، عن أن يقوم بدور حيوي فعال في الحياة الزمنية والروحية للإنسان المسلم[2]".

11- اسمه الذي اشتهر به :

فمن بين أهم الانتقادات التي وجهت لهذا العلم واعتدي عليه بسببها هو اسمه المشهور به وهو علم الكلام ، فهذا الاسم للوهلة الأولي يثير لدى البعض نوع من النفور منه ، و الدعوه إلى هجره و استبعاده باعتباره لا يمثل العقيدة الحقة الموحى بها من عند الله ، بل هو من وجهة نظرهم علم مدعاة للفرقة و الاختلاف ، يعنى بالأساليب الجدلية و المفاهيم المنطقية و البحث في القضايا العقدية من منظور فلسفي يجافي العقيدة ، و يصادم الواقع ، ومن ثم تغير شكل العقيدة ، ونفرت النفوس منها ، فهو علم لا تأثير له على النفس إذ هو يركز على الناحية النظرية ، و لا صلة له بالناحية العملية الأمر الذي جعل منه علما لا صلة له بالواقع ، و لا حظ للنفس منه .

و غير خفي أن هذا الكلام في غير محله خصوصا إذا ما وضع في الحسبان النشأة الأولى لهذا العلم ، وكيف أنه قام على الكتاب و السنة ، لكنه ولظروف معينة و في

(1) أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي ، فهمي جدعان 187 الحديث دار المشرق عمان ط 3 ، 1988 م .

(2) نفس المصدر ص 193- 194م.

obeikandl.com

أوقات خاصة ، تطور ووصل إلى ما وصل إليه ليلاءم الواقع الموجود من ناحية ، و يدفع عن العقيدة ما قد يرد إليها من ناحية ثانية ، ويعمل على قيادة الأمة في مسيرتها الحضارية .

و رغم أن الظروف هي التي دفعت بعلم العقيدة إلى أن يكون بهذه الصورة فإنه لا مانع من استعمال مسمى آخر يلقى بالقبول ، و يناسب أفهام العامة و الخاصة .

و على مايبدوا لي أن هذا الإسم هو اسم العقيدة ، إذ هو يتناول بالبحث العقيدة الدينية سواء ما يتصل بالألوهية أو بالرسل و الرسالة ، و المعجزة و إمكانها ووجه دلالتها على صدق الرسول ، و اليوم الآخر بما فيه ، باعتبار أنها أمور تطلب من المكلف الإيمان الجازم بصحتها ؛ فكأن الثمرة المرجوة من هذا العلم هي انعقاد القلب علي هذه العقائد الدينية انعقادا لا يقبل الإنفكاك أبداً ،بناء على وضوح الأدلة ، فهذه التسمية قد روعي فيها الثمرة أو الفائدة المرجوة من هذا العلم ، و هذا ما أكده شارح المقاصد[1] .

" وبالرغم من عدم وجود هذا المصطلح بهذا اللفظ في القرآن الكريم ، إلا أن هذه التسمية قد لاقت رواجا في الأوساط العلمية و غير العلمية ، بين الدارسين المتخصصين في هذا المجال ، و بين غيرهم من عوام الناس"[2] .

وأرى أن هذه التسمية هي أولي أن تطلق علي هذا العلم من غيرها

هذه هي أهم العوامل التي تتعلق بعلم الكلام و التي تجعل من تجديده ضرورة عصرية ، بل و لا نغالي إذا قلنا أنها ضرورة دينية تدفع إليها نصوص الدين دفعا .

ثانيا : الأسباب العامة الداعية إلى ضرورة تجديد علم العقيدة :

بعد أن عرض البحث للأسباب المتعلقة بعلم العقيدة و التي تجعل من الأهمية

---

(1) ينظر : شرح المقاصد 1 / 190 ، العقيدة الأسلامية د .محمد نصار 13 : 18 ، و لمزيد حول هذه المسألة ينظر مبحث أسماء علم العقيدة من هذا البحث.

(2) ينظر : دراسات في العقيدة الإسلامية د. فتحي الزغبي ص 71 .

obeikandl.com

بمكان ضرورة النظر فيه ، و العمل على تجديده ، ليلاءم طبيعة العصر، و يتناسب مع المشكلات الموجودة ، و التيارات المعاصرة ، أرى من الأهمية الإشارة إلى بعض المبررات العامة التي تدفع كذلك إلى هذا الأمر ، وهذه المبررات هي :

1 - طبيعية العصر ، ونوعية القضايا و المشكلات :

فمن المعلوم أن العصر الذي نعيشه يختلف في جوانيه المختلفة عن العصور الأولى التي نشأ فيها علم العقيدة ، كما أن القضايا المطروحة ، تختلف عن سابقتها ، بحكم عناصر الزمان والمكان و البيئة ، فضلا عن طبيعة العقول ، ومستجدات الأمور ، ومثل هذه الأمور تجعلنا في حاجة ماسة إلى علم عقيدة جديد يلائم ظروف العصر ويناسب طبيعة المرحلة التي نعيشها ولا تقف إمكاناته وتطلعاته وأهدافه عند حدود علم العقيدة القديم الذي وقف في تطوره عند عصر الإيجي ، و التفتازاني" والذي انتهى به الأمر إلى أن انعزل عن التيارات الثقافية والعلمية المعاصرة وانزوى داخل قاعات الدرس بالمعاهد العلمية المتخصصة واستمر يردد قضاياه التاريخية المألوفة ومسائله القديمة المعهودة دون مواجهة صريحة لمشكلات العصر وقضايا الساعة ودون اشتباك جاد مع التيارات الإلحادية المتشعبة والاتجاهات الفكرية المنحرفة والمذاهب الفلسفية المضلة التي ظهرت بين المسلمين في العصر الحاضر نتيجة انفتاحهم على الثقافات الوافدة والفلسفات الغازية انفتاحاً واسعاً لا تقف أمامه الحدود"[1].

فـ" العقيدة الصحيحة – في يوم الناس هذا – تقتضي أن يكون منهج الدعوة إليها ، ونقض ما سواها متجاوزا الأدلة النظرية ، أو على أقل تقدير غير معول عليها وحدها ، بل ينبغي أن يتخذ من التقدم العلمي المعاصر مادة يشتق منها أدلته في الدفاع عنها في مواجهة الرافضين"[2].

---

(1) المدخل نقدي لدراسة علم الكلام ص 254 .

(2) العقيدة الإسلامية في الواقع المعاصر إطار التجديد و ضوابطه ، د ، محمد عبدالستار نصار 1131-1132 ضمن أبحاث مؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي 2002م .

2- تعددالثقافات :

فمن المعلوم أن الثقافة اليونانية كان لها الأولوية على غيرها من الثقافات ، كما كانت أساسا لتكوين علم العقيدة القديم ، أما اليوم فإن الثقافة الغربية تعد أساسا لتكوين علم العقيدة الجديد ، فإذا كان اختيار القدماء موزعا بين فلاسفة اليونان خصوصا أفلاطون و أرسطو ، فإن اختيار المحدثين سيكون موزعا بين سقراط الذي حاول تحليل الشعور قديما لإيجاد الحقيقة الباطنية فيه من خلال العبارة الشهيرة التي قرأها على جدران أحد المعابد وهي " اعرف نفسك بنفسك " و هوسرل الذي حاوا حديثا تحليل الشعور من خلال قوله " في باطنك أيها الإنسان تكمن الحقيقة ، و بين الواقعية التجريبية التي أسسها بيكون وهيوم ، وبين ديكارت و كانت و هيجل الذي أكمل المثالية الأوربية وماركس الذي اكتشف طريق المجتمع الشيوعي[1].

3- طبيعية النصوص الدينية وقابليتها للتجديد :

فمن المعلوم أن رسالة الإسلام خاتمة الرسالات ، وكلمة الله الأخيرة للعباد، و قد أدوع الله فيها من المقومات ما يجعلها رسالة عالمية ، تصحب الإنسان في جميع أزمانه ، و عصوره ، وهذا يعني صلاحيتها لكل زمان ومكان ، فلا يعتريها نسخ أو زوال ، ولا عقم ولا جمود ، وبهذا استحق الإسلام أن يكون دينا عالميا .

و لهذا الدين مصدرين أساسين هما الكتاب و السنة ، فهما الأساس لكل مسلم ، منهما يستمد عقيدته ، و يتعلم أمور دينه ، ويقف على شوؤن حياته ، ويجد جوابا لمشاكلة المتنوعة من ثقافية أو اجتماعية أو سياسية الخ ...

" و الفكر الإسلامي الأصيل يقوم على الثقافة القرآنية ، وهدي الرسول صلى الله عليه وسلم ، و أصالة الفكر الإسلامي وعراقته مقرونة بمقدار قربه من الفرآن و السنة

(1) ينظر : نحو علم كلام جديد د. حسن حنفي ص 204 ، بحث منشور في مجلة قضايا إسلامية العدد الخامس 1997 م ، إشكالية التسمية لعلم الكلام الجديد أنوال طه ياسين ص 400 ، مجلة أبحاث البصرة (العلوم الإنسانية)، المجلد 36 العدد 2 ، 2011 م .

Orbeikhalil.com

أو بعده عنهما ، ومدى موافقته لهما أو مخالفته ؛ لذلك يرى علماء الإسلام ضرورة التفريق بين الإسلام المتمثل في القرآن و السنة ، و بين فكر المسلمين الذي يمكن أن يوصف بالقوة و الضعف وبالصواب أو الخطأ"[1].

باعتبار أنه فكر بشري محدود بحدود الزمان و المكان ، ومن ثم فليس له ما للنصوص الدينية من قداسة ، و بالتالي يمكن إعادة النظر فيه و تقويمه ، والعمل على تجديده وتطويره .

خصوصا إذا ما وضع في الحسبان أن القرآن الكريم والسنة المباركة هما لكل العصور، وتخاطب بهما – من ثم – جميع الأجيال، علمنا أن التراث الإسلامي تشكل داخل التاريخ ؛ لأنه يمثل صور الفهم والتنزيل السابقة في عصر- دون عصر-، أو في عصر من العصور، ولهذا فإن في وسعنا أن نتحدث عن تاريخية التراث، لا عن تاريخية الإسلام ؛ لأن مصادر الإسلام الأساسية – القرآن والسنة – لم تتشكل داخل التاريخ ؛ لأنها وحي يوحى بل إنها هي التى دار حولها التاريخ.

وغنى عن البيان أن ما تكون داخل التاريخ – التراث – يخضع لحركته، ومن ثم فإن جملة علوم الشريعة أو علوم الثقافة الإسلامية شروح المفسرين، واجتهادات الفقهاء، وتراث المتكلمين ، ... إلخ تخضع لهذه الحركة ، ولا ترتقي إلى درجة الثبات والخلود ، ولا يجوز لنا أن نتعبد بها أقساماً وفروعاً وأسماء واجتهادات ومضامين ... إلخ على النحو الذي تركته الأجيال السابقة، ولا يمكن لها أن تكون فى مستوى النص الإلهي أو النبوي .

إن التطوير والتجديد في علوم الشريعة ليس من حقنا فحسب ، بل من واجبنا كذلك ، ولكن إخضاع التراث لهذا التطوير ، أو لحركة الرد و القبول ، ينبغي أن يكون

(1) التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر دراسة نقدية في ضوء الإسلام ، د. محمود بكار ص9 ،دار الوفاء للطباعة والنشر و التوزيع ط1 – 1426هـ 2006م .

obeikandi.com

أسسها و معاييرها موضوع عناية المشتغلين بعلوم الشريعة – عموما وعلم العقيدة خصوصا – وموضع اجتهادهم ، بل أن تكون موضوعا خصبا لحوارهم وندواتهم[1].

وبناء عليه فإن الاجتهاد الكلامي يستوعب غربة الواقع بأزماته ومشكلاته المزمنة، ويتجاوز غربة التراث، ذلك أن التراث ينتمي إلى واقع مضى، فالإصرار على استدعائه بتمامه يعنى استدعاء ذلك الواقع، وبالتالي إلغاء عنصري الزمان والمكان، ونفى الصيرورة والتحول، والنزوع إلى سكونية لا تاريخية ، يتكرر فيها الماضي والحاضر والمستقبل وتغدو عملية التقدم هروباً من العصر، وتوغلاً في الماضي واستئنافاً للأفكار والمواقف والنماذج التاريخية ذاتها[2].

4- كون التجديد مطلب ذاتي في الإسلام :

فمن بين المبررات العامة التي تدفع بالقول إلى ضرورة التجديد في علم العقيدة هو أن التجديد مطلب ذاتي في الإسلام ، " فالإسلام بمعناه العام رسالة من الله إلى الناس جميعا ، وهذه الرسالة تشمل جميع الأديان ، و بالتالي فالأديان جميعها جاءت لتغير حياة الإنسان و المجتمع و إصلاحها ، و الأخذ بيد الفرد و الجماعة على السواء نحو التقدم و التطور ، وحينما جاء القرآن الكريم ... استطاع أن ينقل العرب ... إلى أمة عظيمة ويحدث تغييرا جذريا في حياتهم فينقلهم لوضع جديد يقودون الأمم و الشعوب لسلم الحضارة ... فالإسلام بطبعه يدفع بالتطور و التقدم"[3].

وهذا ما حدا بأحد العلماء إلى القول بأن : " إسلامنا الذي عرفناه وحيا منزلا من

---

(1) ينظر: منهجية التعامل مع علو الشريعة فى ضوء التحديات المعاصرة: د/ عدنان محمد زرزور ص 106-107 ضمن أبحاث العد الثانى عشر من حوليه كلية الشريعة والقانون والدراسات الاسلامية بجامعة قطر 1994م.

(2) الاجتهاد الكلامى الكلامي مناهج و رؤى متنوعة في الكلام الجديد ، عبدالجبار الرفاعي ص 13، ط دار الهادي بيروت – 2002 م .

(3) تجديد الخطاب الديني د أحمد عرفات القاضي ص35 .

obeikandi.com

لدن قيوم السموات و الأرض ، والذي تتوهمونه مجموعة مواصفات أنظمة بشريه قد نبه الرعيل الأول من المسلمين من مبادئه و أحكامه على قانون كان ولا يزال نافذا لا يشذ و لا يلحقه أي خلف.. يتلخص هذا القانون في أن من شأن الإسلام أن يبعث على التطور دون أن يتطور هو بحد ذاته ، أي في مقدار ما يكون المسلمين أمناء على الإسلام وأحكامه لا يعبثون بها ، ولا يغيرون منها ' فإنه يدفع إلى مراقي التقدم و التطور دون توقف ، وبمقدار ما يتلاعبون به و يستبدلون بشرائعه و أحكامه تنبعث فيهم عوامل التخلف والركود"[1].

و بالجملة فإن التأمل الهاديء " في طبيعة رسالة الإسلام – كبيان من الله يتخطى حدود الزمان و المكان – و يبرهن على مسلمة التجديد إن لم تكن هي و الإسلام وجهان لعلمة واحدة فإنها – على أقل تقدير – إحدى مقوماته الذاتية ' إذا تحققت تحقق الإسلام نظاما فاعلا في دنيا الناس ، و إذا تجمدت تجمد و انسحب من مسرح الحياة ، ... بل يثبت هذا التأمل أن تاريخ الإسلام – في أزهى عصوره – يشهد على هذه العلاقة التى لا تفصم بين التجديد وحيوية الإسلام ، كما يشهد على العلاقة ذاتها بين الجمود و انزوائه إلى ركن قصي عن الحياة و عن المجتمع[2] ".

5- التحولات التي ظهرت في العلوم المختلفة :

فلا يخفى على أحد ما شهده العالم في القرون الأخيرة من تحولات متنعوة في مختلفة العلوم نتج عنها تحولات كذلك في العقائد و الأفكار " حتى وسم القرن التاسع عشر في أوربا بعصر الإلحاد ثم اتسم القرن العشرون بأنه عصر الانفتاح وتقريب المسافات بين الأمم و الشعوب حتى ظهر العالم في آخر القرن و كأنه قرية صغيرة ، ثم كان التقدم

(1) الإسلام بين التجديد المطلوب و التبديد المرفوض د. محمد سعيد البوطي ، ص 166-167 ، مؤتمر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية 2002 م

(2) ضرورة التجديد : د . أحمد الطيب ص 141- 142 ، مؤتمر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية 2002 م

العلمي الهائل في النصف الأخير من القرن التاسع عشر و القرن العشرين أثره على الدين سلبا و إيجابا في آن واحد"[1].

فأما الجانب السلبي : فقد تجلي في مواقف بعض العلماء و المفكرين الذي خرجوا على الدين ورفضوه وهاجموه بدعوى أنه من إرث الماضي لا صلة له بالواقع ، في حين أن الإكتشافات العلمية و البحوث التجريبية يجيبان عن كل ما يحتاج إلى إجابة حتي في مسائل الغيب و عالم ما وراء الطبيعة .

و أما الجانب الإيجابي : فيتمثل في مواقف بعض العلماء التجربيين الذين نظروا بموضوعية من خلال أبحاثهم إلى العالم وما فيه ، و انتهوا إلى الإعتراف بوجود قوة تحكمه ، تعنى بأمر ، و ترعى شوؤنه هذه القوة هو الله تعالى ، و قد انتهى هولاء إلى ما انتهو إليه من خلال منهج صحيح ربطوا فيه بين العلم و الدين ، وهذا ما يجب أن يكون عليه علم العقيدة الجديد فمن خلال هذا المنهج

" تتواري كل صيحات الإلحاد باسم العلم ... إن البحوث الجادة التى أفرزتها عبقرية فريق من الباحثين الأمريكيين الجادين في كثير من مجالات العلوم المختلفة ، مما ترجم إلى لغتنا تحت اسم " الله يتجلى في عصر العلم " إنما نعده أولا : وضع العلم التجريبي في وضعه الصحيح ، و ثانيا: تدعيم الإيمان و تقويته بما تقدم من أدلة عملية مباشرة ، تنسق و طبيعة العصر على وجود الله تعالى ، وهي أدلة تقوم في عمومها على مبدأ فطري عام هو مبدأ السببية ، الذي في ظله تتوارى تلك المقولات التي لا تنسق مع العقل الصريح و لا مع الدين الصحيح ، ولا مع العلم الحقيقي في شيء ، و التي تبرر الإلحاد كالقول بالمصادفة ، و العشوائية في إيجاد الأشياء، أو القول بأن الكون علة نفسه"[2].

(1)العقيدة الإسلامية في الواقع المعاصر : ص 1131 .

(2)المصدر نفسه .

obeikandi.com

إن المهمة الملاقاة على علم العقيدة خطيرة و ثقيلة ، و ما لم يطور من نفسه ، ويعمل على التفاعل مع الواقع الموجود ، تصبح العقيدة الإسلامية عرضة لإثارة الشبه ، و الطعن فيها والهجوم عليها .

إن العقيدة الإسلامية تمثل الجانب الغيبي في الإسلام ، وهذا أحد أهم جوانب الهجوم عليها و الطعن فيها – فهي لا تخضع للتجربة – و تنمي لعالم ما وراء الطبيعة أي العالم الذي لا يحس ، مما يبرر الطعن فيها عند خصومها ، وهذا الأمر يجعل من التجديد لعلم الكلام ضرورة ملحة حتى يستطيع المتكلم المعاصر أداء مهمته بنجاح ، و يتمكن علم الكلام من القيام بدورة في حفظ الدين وخدمة العقيدة ، كما يسهم في البناء الحضاري للأمة كما تعودنا عبر عصوره و مراحله المختلفة .

فلا يمكن أن يقف الأمر بعلم العقيدة وعلمائه " عند الصور القديمة، وهى مسألة تحتمها الضرورة الشرعية، ألا ترى أن قوله: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)[1].

يؤيد ما نذهب إليه؟ فالحكمة تعني وضع الشئ في نصابه ، وهذا بالضرورة يقتضي معرفة الملابسات والأحوال والظروف المحيطة بمن يأخذ على عاتقه مهمة الدعوة إلى الله. ولما كانت إنجازات العلم التجريبي على هذه الشاكلة التى صورناها قبلاً، فإن على علماء العقيدة أن يطوروا منهجهم على الصورة التى يفهمها منطق العصر.

ولو أنهم ظلوا متشبثين بطرقهم القديمة حين التصدي لأصحاب الاتجاهات الملحدة، فلن يفيد ذلك شيئاً، فلغة اليوم في الحوار بين الأديان أو بينها وبين التيار الألحادي ، تخالف إلى حد بعيد لغة الأمس، ولاشك في أن هذا الأمر سيكلف الباحثين في ميدان العقيدة الشئ الكثير، حيث يلزمهم المنهج الجديد أن يقفوا على كل منجزات العلم، ويوظفوها بذكاء في خدمة العقيدة"[2].

---

(1) سورة النحل: 125.

(2) منهج البحث في العقيدة في ضوء التطور العلمى المعاصر ص300 ضمن أبحاث العدد الثامن من حوليه كلية الشريعة بجامعة قطر لعام 1990م.

6- التطور المستمر في الحياة :

أن التطور والتجديد في الحياة سنة كونيه ، وهذا التطور في الحياة لا بد و أن يكون مصحوبا بفكر متجدد ، ينبع عن رؤية لقضايا الإنسان و اهتماماته ' فإن الإنسان مهما بلغ مقدار التطور في حياته فإنه يحتاج إلى جانب ذلك التطور فكرا يشبع عقله وروحه ، يتوافق وكلما كان الفكر متجددا متوافقا مع النهضة التي يعيشها المجتمع ، كلما كان الإشباع أكمل ،مما يعكس أثر إيجابيا على حيوية المجتمع و نشاطه .

7- تلبية حاجات الإنسان العقدية و الفكرية :

معلوم أن الإنسان كائن حي ، له حاجات متعددة ، وهذه الحاجات تختلف من عصر إلى عصر ، ومن مكان إلى مكان ، ومهمة الفكر الإساسية هي تلبية حاجة الإنسان بمختلف أنواعها ، وهي مقياس نجاحه ، فكلما كان الفكر ملبيا لحاجة الإنسان المشروعة كلما كان فكرا ناجحا ، و العكس بالعكس ، فالفكر الناجح هو الذي يلبي حاجات الإنسان المشروعة المتجددة مهما اختلفت العصور و الأمكنة بقابليته للتجديد ، فالتجديد في الحقيقة هو الإجابة الإسلامية عن التحديات المستجدة و الإشكاليات المتولدة في كل عصر ، وهذا ما يجب أن يكون عليه علم الكلام الجديد نظرا لتجدد المشكلات ، و تنوعها.

8- حل المشكلات و إيجاد البدائل :

ما من مجتمع على وجه الأرض إلا وله مشكلاته المختلفة ، و الفكر النافع هو الذي يقدم حلولا لمشكلات مجتمعة ، و لا شك أن المشكلات تتجدد بتطور المجتمع فتظهر مشكلات لم تكن موجودة من قبل ، فيستلزم ذلك فكرا جديدا أو متجددا لحل هذه المشكلات ، كما أن حاجتنا إلي التجديد تظهر جلية في أيجاد البدائل للأفكار التي يطرحها الفكر المخالف ، و التي تتعارض مع الإسلام ، وهذا هو الدور الرئيس لعلم

العقيدة الذي قام من أجله [1].

9- التحديات الداخلية و الخارجية التي تواجه أمتنا :

فمن المعلوم أن العالم الإسلامي يتعرض لجملة من التحديات الداخلية و الخارجية تعمل على القضاء عليه و إذابة هويته ، ففي الداخل و الخارج هناك " مشكلات حقيقية تواجه الخطاب الديني المعاصر ، و تستلزم مواجهتها و التعامل معها بإيجابية وواقعية ، وتعد هذه المشكلات تحديات حقيقية يجب مواجهتها بوضوح و شجاعة ولا يجدى معها مجرد الإقرار بوجودها ، و لكن يجب العمل الإيجابي لمواجهتها "[2].

ومن هذه التحديات حملات الغزو الفكري التي توجه إلى الإسلام وتثير الشبهات حول عقائده ومبادئه وتشريعاته وحول شخص الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة صحابته الأخيار – رضي الله عنهم – بهدف تشكيك المسلمين في عقيدتهم وشريعتهم وقرآنهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم .

فضلا عن هذا يواجه العالم الإسلامي في الوقت الحاضر خطرا كبيرا يكاد يقلع جذوره ، و يهمش الدور الذي يحياه ، وهو خطر العولمة [3]، حيث يري البعض أنه

---

(1) ينظر : التجديد في الفكر الإسلامي د. محمود بكار ص 139 ، ضرورة التجديد وضوابطه في الفكر الإسلامي د. خالد عبدالله الشعيب ص 100 :102 ، مؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي المجلس الأعلى لشئون الإسلامية بمصر 2002 م .

(2) تجديد الخطاب الديني د. أحمد عرفات القاضي ص 63 و ما بعدها.

(3) للعولمة ، تعريفات متعددة منها أنها وجه جديد للاستعمار ، وصورة حديثة لاستنزاف ثروات الشعوب ، والاستيلاء على مواردهم ، ولكن بصورة تتناسب وحال العصر ، وطبيعة الفكر ، وبهذا تكون العولمة خرجت عن ما قصد لها .فالعولمة لم تكن ـ كما كان – يرجى لها، فقد كان يراد منها أن يسود في العالم ثقافة إنسانية تناسب كل الناس وتساعد على تعاونهم وتطورهم والاستفادة من خيرات بعضهم بعضاً. وقيل هي : " الحالة التي تتم فيها عملية تغيير الأنماط والنظم الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ومجموعة القيم والعادات السائدة وإزالة الفوارق الدينية والقومية والوطنية في إطار تدويل النظام الرأسمالي الحديث وفق الرؤية الأمريكية المهيمنة ، والتي تزعم أنها سيدة الكون وحامية النظام العالمي الجديد للوقوف على مزيد من التعريفات للعولمة ينظر للباحث : القيم الدينية و ثقافة العولمة . ص84 : 87 بحث منشور بمجلة الشريعة و الدراسات الإسلامية السنة الثالثة –العدد الثالث رمضان1432 هـ أوت 2011 م .اتحاد الجامعات العربية .

وضعت خاصة لمواجهة الإسلام و القضاء على نهضة المسلمين ، وبث القيم المادية بدلا من القيم الدينية التي تنبع من أصول عقيدتهم[1] .

تعقيب :

من خلال ما تم عرضه من أسباب و مبررات الدعوة إلى تجديده سواء ما يتعلق منها بالعلم الجديد أو ما يتعلق بالأمور العامة ظهر جلياً أن التجديد ضروة حتمية بل هو ضرورة شرعية و عقلية و إيمانية ، فنحن في في حاجة ماسة إلى علم كلام جديد يأخذ على عاتقه مهمة التصدي للتحديات الداخلية و الخارجية ، و تقديم العقيدة الإسلامية في ثوب قشيب يأخذ بالألباب و يؤثر في النفوس و القلوب ، وفي ذات الوقت مدافعا عن الإسلام مستخدماً في دفاعه كافة الأسلحة التي تمكنه من مواجهة هذه الحملات ودحض هذه المفتريات الباطلة التي يراد بها الكيد للإسلام والمسلمين، والتي هي في الواقع تجسيد لخطة كبيرة تستهدف تشويه الإسلام، وعزله عن واقع المسلمين، وتنفير الناس منه، وجذب بعض ضعاف المسلمين إلى غير الإسلام، وإضعاف ثقة المسلمين بدينهم وتراثهم، وبث روح الشك في كل ما بين أيديهم من عقيدة وقيم ومثل عليا، ليسهل على عدوهم النيل منهم .

(1)ينظر : التجديد في الفكر الإسلامي د. محمود بكار ص 140 – 141 .

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الرابع

أسس التجديد في علم العقيدة المعاصر

أو (محاور التجديد لعلم العقيدة المعاصر)

مما لا شك فيه إن واقع المسلمين في العصر الحاضر يؤكد على أهمية علم الكلام و قيمة الدور الذي يقوم به في خدمة الدين ، والدفاع عن العقيدة خصوصا إذا ما وضع في الحسبان " أن المجتمعات الإسلامية في الوقت الحاضر تشبه – إلى حد كبير – المجتمع الإسلامي في طور نشأته من حيث سرعة حركة التغير وشدتها في كل منهما ... و تتصف المجتمعات الإسلامية الحاضرة – أيضا – بشدة تقبلها للأنماط الثقافية المحدثة للتغير ، نتيجة أن هذه المجتمعات على درجة شديدة الهبوط من التخلف المدني بالنسبة للمجتمعات التي انفتحت عليها ، فمن ثم كانت على استعداد أعظم للأخذ عنها و الاقتداء بها "[1].

هذا ، و إذا كان علم العقيدة قد وصل في مرحلة من مراحله إلى عصر كاد يخلو من موجة الإلحاد من ثم بردت أسلحته الدفاعية ولم يعد وجوده ضرورياً في ذلك العصر وهذا ما يقرره ابن خلدون بقوله : "و على الجملة فينبغي أن يعلم أن هذا العلم – الذي هو علم الكلام – غير ضروري لهذا العهد على طالبي العلم إذ الملحدة والمبتدعة قد انقرضوا والأئمة من أهل السنة كفونا شأنهم فيما كتبوا ودونوا والأدلة العقلية إنما احتاجوا إليها حين دافعوا ونصروا وأما الآن فلم يبق منها إلا كلام تنزه البارئ عن كثير إيهاماته وإطلاقه"[2]

إلا أن الظروف التي يمر بها العالم الإسلامي في عصرنا الحاضر تقتضي ضرورة وجود علم الكلام مرة أخرى ليؤدي وظيفته و يقوم بدوره المنوط به ، فواقع المسلمين

(1) عوامل وأهداف نشأة علم الكلام ص 313– 314 .

(2) مقدمة ابن خلدون ص ،327 ط دار ابن خلدون بالأسكندرية .

openkanal.com

اليوم بحاجة ملحة إلى قيام علم يقوم بحراسة العقائد الإسلامية على الوجه الذي قام به علم الكلام في عصر النشأة [1] .

نحن إذن في حاجة ماسة إلى علم كلام متطور يلائم ظروف العصر وطبية المرحلة التي نعيشها ولا تقف إمكاناته وتطلعاته وأهدافه عند حدود علم الكلام القديم و يكون ذلك من خلال مايلي :

أولا : محور الهدم .

علم الكلام المعاصر الذي ننشده ونتطلع إليه في الوقت الراهن لابد أن يقوم على أسس جديدة ودعائم متطورة تساعده على النهوض بالتبعية الثقيلة الملقاة على عاتقه وحتي يتحقق ذلك لا بد له من عدة أمور ، وهي :

أ- ضرورة تجاوز جميع السلبيات التي وقع فيها علم الكلام في عصره القديم وأهمها:

1- الانشغال عن مواجهة الخصوم الخارجين بالخصومات الداخلية التي أدت إلى تصدع جبهة علماء الكلام وضعف شوكتهم وأتاحت الفرصة لأعداء الإسلام لممارسة أنشطتهم الهدامة .

2- استخدام المنهج الجدلي العقيم الذي كثيراً ما يؤدي إلى إثارة الشبه والشكوك دون أن يفضى إلى الإقناع واليقين [2] .

كتب الإستاذ الإمام محمد عبده رحمه الله -تعالى -" كتيبا صغيرا في أنفس ما كتب في العقيدة في العصر الحديث و هو رسالة التوحيد ، فقد نظر الإمام ... في كتب علم الكلام ، و هي مليئة بالصراعات المذهبية ، فنحى كل هذه الصراعات و المشاغبات ،

(1) عوامل وأهداف نشأة علم الكلام ص 315 .

(2) ينظر : مدخل نقدي لعلم الكلام ص255 ، التجديد في علم الكلام م د/ عبد الجميد مدكور ص 1213 ضمن موسوعة العقيدة الإسلامية المجلس الأعلى للشئون الإسلامي.

obeikandl.com

وقدم العقيدة الإسلامية مصفاة ؛ و لذلك اكتشف أن كثيرا من الخلافات بين القدماء ، كان سببها الصراع المذهبي ، و الخلافات حول مضامين المصطلحات ، فوضع في رسالته هذه أسسا عظيمة في العقيدة بعيدة عن شعب علم الكلام ، و رسالة التوحيد التي قدمها ... هي عرض جيد لعلم الكلام ،ردم الفجوة بين السلف و الخلف ، وشرح العقائد شرحا يمزج بين العقل و النقل ، وتجاوز الترف العقلي و الجدل اللفظي ، ومنهج المتون و الشروح ، وقدم أصول الإسلام تقدمة دقيقة جيدة"[1] .

فهذان العاملان كانا من أهم الأسباب في إعراض كثير من المسلمين عن علم الكلام و مناهجه.

ب-عدم الاهتمام بالجانب العملي أو الدعوة إليه و الحث عليه ، ومثل هذه النقطة جعلت الإمام مالك رحمه الله يقول : " الكلام في الدين أكرهه ، و لم يزل أهل بلدنا يكرهونه ، و ينهون عنه ، نحو الكلام في رأي جهم في القدر ، و كل ما أشبه ذلك ، و لا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل ، فأما الكلام في دين الله ، و في الله -عزوجل - فالسكوت أحب إلي ؛ لأني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام إلا فيما تحته عمل"[2] .

فمثل هذا الأمر جعل من العلم علما نظريا لا أثر له في واقع الناس ، و لا قبول له في حياتهم سيما و أن " طرائق المتكلمين ، و دورب الفرق أوحال ، لا يسلم الواقع فيها من كبوات متلاحقة ربما لوثت ثوبه وبدنه أو عقيدته وسلوكه ، أو باطنه ومظهره ، و يجب أن نعلم أن طريق العقيدة ينبغي أن يكون واضحا مستنيرا ممهدا مذللا يستطيع الواقف في أوله أن يدرك نهايته ، و أن يبصر الواقف في النهاية أعتاب البداية ' إنه

(1) علل و أدوية الشيخ محمد الغزالي ص 80 ،دار الكتب الإسلامية – القاهرة ط 2 ، 1405هـ1984 م .

(2)جامع بيان العلم وفضله : أبو عمر محمد بن عبد البر 2/ 938 ، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري نشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية ، ط: الأولى، 1414 هـ - 1994 م .

صراط نظيف منظم مستقيم منير واضح المعالم يتجه السائرون فيه وجهة واحدة و يركبون وسيلة واحدة كي تحملهم إلى الغاية في أمان و حفظ ' و إلا فانتظروا كثيرا من الصراعى لا أقصد صرعى الأبدان إنما صرعى العقول و القلوب"[1] .

إن الحديث عن محور الهدم هنا يراد به التخلص من بعض السلبيات التي وقع فيها علم العقيدة ، و التي كان بعضها مدفوعا إليها بعناصر عدة، منها البيئة، والزمن ، و الخصم ، وطبيعة الموضوعات ، ونوعية المشاكل المطروحة، و الجو الثقافي السائد في ذلك الوقت ، فكلها عوامل تشكلت وكونت علم العقيدة بالصورة التي وجد عليها ، إلا أنها في وقتها كانت عنصر قوة لهذا العلم ، و آداة تميزه على غيره من العلوم من الفنون ، وسر قوته ومصدر وجوده .

و بالجملة فهذه المآخذ أو السلبيات التي تؤخذ على هذا العلم في هذا العصر ينبغي النظر إليها على ضوء العصر والزمان و المكان التي ظهرت فيه ، فهذا العلم كان ينافح و يكافح بلغة عصره ، و طريقة خصمه ، فما خاض فيه علماء الكلام " من موضوعات في الدقيق و الجليل إنما هي موضوعات فرضت عليه فرضا من قبل خصومهم ، وهم بصدد مجادلتهم ، ودحض هجومهم على الإسلام ، وهذه الموضوعات في مجملها تمثل نقاط الخلاف بين الإسلام و الأديان المخالفة ، فهم لم يتجهوا لمناقشة الدقيق و الجليل بدافع الجرأة العقلية المحضة إنما ذلك لما اقتضته المهمة الدفاعية لعلم الكلام"[2] .

الجانب الثاني : الاستفادة من الإيجابيات :

إن الحديث عن علم جديد لا يمكن أن يتحقق بصورة صحيحة إلا بالوقوف على علم العقيدة بمعناه التلقيدي وقفة متأنية يقف الباحث من خلالها على أهم ما له أو عليه ، خصوصا إذا ما وضع في الحسبان أن الجديد لا يقام إلا على أساس من القديم .

(1) الألوهية في الفكر الإسلامي د. عبدالله الشاذلي ص 29 بدون .
(2) مدخل لدراسة علم الكلام د. محمد صالح السيد ص 8 .

obeikandl.com

و إذا كان هناك من يعيب على المتكلمين و طريقتهم في عرض القضايا ومناقشتها باعتبارها طرق وعرة و معقدة حتى أن السالك لها على حد قول أحد علمائنا لا يخرج منها " إلا مرمد النظر ، كليل العقل ، مجهد الفكر ، و لا يجني من وراء رحلته إلا مر الأفكار و حنظل الأهواء ، و لن يجد من الثمار إلا الأشواك التي تمزق الأجسام ، و تدمي الأقدام ، و قلما يعثر في رحلته على شغلة صغيرة أو بصيص من الضوء يستعين به على اجتياز هذه المهامة المظلمة الجرداء"[1].

و في واقع الأمر أن هذا الحكم رغم قسوته و شدته إلا أنه لا يخلو من جانب كبير من الحقيقة إلا أنه لا ينبغي إطلاقه على علم الكلام في مراحلة الأولى و التي كان فيها واقعيا يتفاعل مع الواقع ، و يجيب عن المشكلات ، و يضع أجوبة لكثير من التساؤلات ، فهذا الحكم ينصب على علم العقيدة في مراحله المتأخرة التي غلب عليها التدهور و الانحلال ، و لم يوفق " في إبداع فكر جديد يوجه العصر ومستجداته ، بل ظل يدور في فلك المشكلات التقليدية ، يعالجها على نفس النمط الذي عولجت به في كتب الأسلاف ، من هنا جردت من ارتباطها بالواقع تماما ، هذا فضلا عن المناهج العقيمة التي تمسكوا بها ، و التي لا تسعف مفكر اليوم في معالجة مشكلاته الراهنة التي أفرزها التقدم العلمي أو التقدم في مجال البحث عن حرية الإنسان و كرامته و علاقته بواقعه"[2].

و مع كل هذه الانتقادات وقسوتها – كما سبق ذكره – فإن علم العقيدة بمعناه التقليدي لا يخلو من إيجابيات جمة يمكن الإفادة منها في بناء علم جديد ، يفي بالغرض ، و يتواءم مع الغاية ، ويؤدي الدور المنوط به ، في المحافظة على العقيدة و إقامة الأدلة عليها ودفع ما قد يثار حولها ، فضلا عن قيادته لمسيرة الأمة الحضارية تلك المسيرة التي قادها علم الكلام نفسه في

(1) الألوهية في الفكر الإسلامي د. عبدالله الشاذلي ص 29.

(2) مدخل لدراسة علم الكلام د. محمد صالح السيد ص 9 .

العصور السابقة نظرا لما تميز به ، و اختص هو به من رؤية واسعة ، ونظرة ثاقبة ، وقدرة على التكيف مع الظروف و الأحداث ، و تفاعل مع الآخر .

ويمكن الوقوف على بعض إيجابيات علم الكلام بمعناه المعروف وهي على النحو التالي :

1 – **الدقلة والثلمول** :

فقد كانت لغة المتكلمين الأوائل تقوم على فهم النص وتطبيقه، وذلك بمحاولة استيعاب كافة النصوص، والعمل المدرسي المؤثر كما نرى ذلك بوضوح في المدارس الكلامية على اختلاف مناهجها ، فنرى ذلك في الأشعرية ،والمعتزلة، والخوارج ، والشيعة والماتريدية والمدرسة الصوفية في شقها الكلامي.

2 – **قيطة العقل وبيطان دوره :**

فمن بين أهم إيجابيات علم الكلام القديم وضروة التركيز عليها ، وتقديرها في بناء علم كلام جديد ، العقل باعتباره أحد وسائل فهم الدين ، وشرح نصوصه ، و تفسير مراده بل الأكثر من هذا أنه هو السبيل " إلى الاجتهاد فيما لم يرد فيه نص قطعي الثبوت و الدلالة ، و هو أداة المواجهة مع المخالفين ، فليس من سبيل إلى دعوة المخالف أو مواجهته إلا بدليل العقل ، ولا رد المتطرف إلا بحور عقلي مقنع "[1] .

و إذا كان الحديث عن العقل و أهميته على هذا النحو فلا بد أن ندرك أننا " لسنا مطالبين أبدا أن نطبقه على نفس الموضوعات التي تناولها أسلافنا إذ ربما لا تكون هي نفس الموضوعات التي تهمنا الآن ، علينا فقط أن نستخلص عقلية النظرة ، ثم نطبقها على موضوعاتنا المعاصرة ، و لعل من أرحب مجالات العقل الآن مجالين مهمين الأول : العلم ، و الثاني : الإجتهاد"[2] .

فهناك تأكيد لقيمة العقل ودوره ، خصوصا و أن أصول العقائد تقتض ذلك يقول الإمام الجويني : " اعملوا وفقكم الله – تعالى- : أن أصول العقائد تنقسم إلى ما

(1) المصدر نفسه ص 11 .

(2) المصدر نفسه ص 11.

يدرك عقلاً، ولا يسوغ تقدير إدراكه سمعاً، وإلى ما يدرك سمعاً ولا يتقدر إدراكه عقلاً، وإلى ما يجوز إدراكه سمعاً وعقلاً"[1].

كما يذهب الأمدي إلى القول : بأن الإلهيات لا تأخذ إلا بالدليل العقلي عكس السمعيات التي يكتفى فيها بالدليل النقلي[2].

3- طريقتهم في التعامل مع الوافد إليهم من الثقافات الأخرى :

فمن أهم ما يمتاز به الكلام و أهله قديما طريقة التعامل مع الوافد و التي جمعت بين محاولة الأصالة والاستنباط ، والابتكار والتجديد دون أن يتكئوا على الوافد كليةً ، كما أنهم استفادوا من الوافد وأدرجوه في سياقاتهم وأخرجوه من جعبتهم على طريقتهم الخاصة، فكانوا كالنحل لا يخرج من بطونها إلا العسل المصفي، الذي لا ينسب للزهور أو الورود بقدر ما ينسب إلى النحل ونشاطه. فرأينا تتابع المدرسة الواحدة وأثارها العملية في الفقه والسياسة والمجتمع والعلم والحضارة . ويمكن تتبع نشاط الأشعرية نموذجا قبل أن تنحو نحو التقليد وتنطوي على ذاتها، بل رغم هذا الانطواء ظلت هذه المدرسة تبرز أفذاذا كالكوثري ، و النورسي ، وابن عاشور ، ومحمد عبده وغيرهم.

فهناك شبه اجماع بين المتكلمين على ذم التقليد شرط أن يكون هناك ضبط لوسائل النظر العقلي[3] .

فالقاضي عبد الجبار يكتب فصلا بعنوان : في بيان فساد التقليد[4] .

---

(1) الارشاد في أصول الاعتقاد إلى قواطع الأدلة للإمام الجويني : ص 358 ، تحقيق د. محمد يوسف موسى ، على عبد المنعم عبد الحميد ، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة 1369هـ 1950 م.

(2) غاية المرام في علم الكلام ، للأمدي ص 16 مقدمة المحقق تحقيق ، حسن الشافعي ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث – الكتاب (24) 1391هـ1971م.

(3)اليقين في العقيدة الإسلامية وطرق الوصول إليه، د. مختار عطاالله دراسة في وسائل الإستدلال في الفكر الإسلامي ص 21. بدون . نحو ممارسة جديدة لعلم الكلام ، د محمود مسعود ص 10-11 ، بدون .

(4) المغني للقاضي عبد الجبار ، ج 12 النظر و المعارف ص 123 و ما بعدها ، تحقيق د إبراهيم مدكور ، إشراف د طه حسين ، وزارة الثقافة ، المؤسسةالمصرية العامةللتأليف و الترجمة و النشر

4- الانفتاح على الآخر :

احتل الآخر مكانا مركزيا في التراث الكلامي منذ اللحظة الأولى لنشأته ، وذلك بما هيأه الإسلام للمسلمين من حرية فكرية ، وضوابط دينية تكفل لهم التعامل مع غيرهم ، ومن ثم تفتحت عقولهم من وقت مبكر على ثقافة عصرهم ، و أسس التعامل مع المخالفين لهم ، و استطاع المتكلمون التعامل مع الآخر وقبوله ، و التعايش معه بصورة دقيقة منظمة تراعى فيها الأصوال و الثوابت ، و القيم و المباديء بطريقة مثلى تنم عن فكر مستقيم ، و عقل واع مبدع .

و ساعد على ذلك تأكيد الإسلام على ضرورة محاورة الآخر خصوصا و أنه – أي الآخر – عبر التاريخ " كان موجودا بصورة أوبأخرى في المجتمع الإسلامي كجزء من مكوناته ممثلا في أهل الكتاب الذين عاشوا في المجتمع الإسلامي ، أو كان وجوده كعدو وخطر خارجي يتربص بالأمة الدوائر "[1] .

وقد نجح الأوائل في حسن التعامل معه و استيعابه ، ورد كيده ، و إبطال شبهه ، بما يتناسب و لغته ، وفكره ، و يتسق مع معطيات عصره .

لكن صورة الآخر هذا اختلفت الآن عما كان عليه من قبل ، كما اختلفت أساليبه ، وتنوعت ووسائله الأمر الذي يفرض على القائمين على هذا العلم ضروة التعامل مع الواقع والتعايش مع الآخر بما يناسب العصر و تفرضه طبيعة المسائل و نوعية المشكلات التي يبثها من آن لأخر .

فالواقع الذي نعيشه يحتم علينا ضرورة دراسة تجربة الأوائل من متكلمي الإسلام في هذا المجال من خلال الإطلاع على ما تركوه و عملوا من خلاله على المحافظة على الهوية الإسلامية مع وجود الآخر و تعاملهم معه .

5- الواقعية التي صاحبت نشأة علم العقيدة :

فبعيدا عن الانتقادات التي وجهت لهذا العلم في هذا السنوات الماضية ، فإنها لا تقلل أبدا من دور ، أو تنفي ما قام به من مهام عظيمة ومهمات جليلة ، لا سيما أن هذا

(1) تجديد الخطاب الديني د. أحمد عرفات القاضي ص 84 .

العلم من اللحظة الأولى لنشأته قد ارتبط بالواقع الإسلامي ومن ثم فقد جاءت : " المشكلات التي عالجها في عصر ازدهاره من واقع حياتهم ، فكان فكرهم معايشا لواقعهم ومرتبطا به ارتباطا وثيقا ، وقيمة ارتباط الفكر بالواقع قيمة لها أهميتها في تقدم أي مجتمع و تطوره ، فما تعانيه مجتمعاتنا من مشكلات و تأخر إنما يرجع – في بعض جوانبه – إلى إهمالنا للمشكلات الحقيقية و انغماسنا في مشكلات عقائدية جدلية ، قد تكون موغلة في التجريد ، من هنا لم يقو علم العقيدة – المعاصر – على انتاج فكر يقف مواجهة الإيدلوجيات و الفلسفات الوافدة و التي تواجه المسلمين منذ بداية نهضتهم ذلك ؛ لأن الفكر المنفصل عن الواقع لا يتهيأ له وسائل التأثير و التغيير في مجتمعه و لا يكون دافعا لتقدمه ... إن على علم العقيدة المعاصر مهمة أساسية هي البحث عن صيغ حديثة جديدة للربط بين التنظير في مجال العقيدة و بين الواقع الذي نعيش فيه"[1].

ليقوم بدوه المنوط به على النحو الذي قام علم العقيدة قديما به ، عندما نشأة استجابة للظروف ، متفاعلا مع الواقع ، مجيبا عن التساؤلات ، واضعا الحلول للمشاكل و المعضلات ، مسهما في البناء الحضاري للأمة ، وكل هذه تم نظرا للواقعية التي لازمته عند نشأته .

الجانب الثالث : جانب البناء .

هذا هو المحور الثالث ، و الأخير في الدعوة إلى تجديد علم الكلام ، و هذا المحور يقوم على عدة جوانب وهي :

1- أسس التجديد في علم الكلام :
2- أهداف التجديد في علم الكلام :
3- المنهج الذي يتبع في علم الكلام الجديد :
4- المنطلق الذي ينطلق منه علم الكلام الجديد :
5- الغاية التي يسعى لها علم الكلام الجديد :

(1) مدخل إلى علم الكلام د. محمد صالح السيد ص 10 .

obeikandl.com

6- الموضوعات التي يتناولها علم الكلام الجديد :

وهذا إجمال يحتاج إلى تفصيل :

أولاً : أسس التجديد في علم الكلام :

لتحقيق هذه النقطة لا بد من عدة أمور:

أ- اعتماد القرآن ، لغة و أسلوبا و منهجا في تأسيس الإيمان ، و في مخاطبة العقل و الوجدان على حد سواء، و تلبية حاجات النفس من الإشباع فهي طريقة واضحة ميسرة تخاطب في الإنسان عقله و قلبه ، و مشاعره ، دون تعقيد في الألفاظ ،أو تشعب في البحوث ، أو إيراد للآراء و المذاهب ، أو خوض في مصطلحات الفلاسفة والمناطقة ،و من خلال هذا تبقى العقيدة على صفائها ووضوحها وبساطتها .

فالقرآن الكريم هو " حديث لله عن ذاته وعن أفعاله، وعما فعل بالكون ابتداء، وعما يفعل فيه حالاً، وما سيصير عليه نهاية، وهو إخباره عن السمعيات والمشاكل الماورائية.

والعقل إزاء هذا كله يتخبط فى ضروب من الغيب لا يقدر على أن يبدد خفاياها، ولا أن يميط الثام عنها على وجه جلي، والاهتمام بالمنهج القرآني فوق أنه حديث الله عن ذاته وفعله وخلقه وما وراء الخلق المشاهد فإذا أخذنا به في دراستنا لعقيدتنا وشريعتنا سيربط المسلمين بهذا المصدر وبالسنة ربطاً قوياً وسيكون إحكاماً لأواصر الصلة بين المسلم والكتاب المحكم سواء في جانب العقيدة أم في جوانب الأوامر والنواهي، وسواء في إشباع العقل أم القلب أم الجوارح أم العواطف والمشاعر.

وسيدفع الإنسان إلى العلم كما سيدفعه إلى العمل، ويرفق فيه نفسه ويهذب خلقه، ويشحذ ضميره، ولا مناط لنا إن أردنا عودة صحيحة إلى الدين من أن نؤسس عقائدنا،

وأن ننبه أفكارنا ونحكمها على أساس من القرآن والسنة والشريعة"[1].

فالقرآن الكريم " سهل ميسر للجميع يفهمه البسيط ويوقن بما فيه و يهتدي على ضوئه ، و يتدبره العلماء فيجدونه عميقا مقنعا ومعجزا لهم"[2].

ت- الاهتمام ببيان آثار العقيدة على النفوس:

فمن صور التجديد في جانب العقيدة ربط آثارها الواقعية بها ، إذا لا يكفي أن نؤمن بالله – تعالى- إيمانا عقلانيا جافا ، بل لابد من العمل على إحياء الآثار القلبية النابعة من صدق الإيمان وذلك كي " يعلم المرء أين نفسه من درجة استيلاء العقيدة الإسلامية عليها، فإن كانت نفسه متأثرة بتلك العقيدة حمد الله على نعمته، وإن كانت هذه الآثار ضعيفة في نفسه عمل على علاج نفسه، وتقوية إيمانها، فقد كانت العقائد عند أسلافنا عواطف مستقرة في القلوب، ومشاعر مستولية على النفوس، فلما أن صارت عندنا جدلاً وكلاماً، ضعف إيمان الأمة، وتسرب إلى دينها الخلل والوهن"[3].

ث- تناول بعض قضايا بشكل آخر يكون أقرب لمنهج القرآن الكريم والسنة المباركة ، ومحققا لمقصدهما ، فهناك قضايا متعددة كانت الشغل الشاغل لعلماء الكلام ، و استنفذت جهودهم ونالت جانبا كبيرا من اهتماماتهم – و قد يكون لهذا مبرر في وقته وذلك مثل مسألة الأسماء و الصفات ، وقضية الذات الإلهية وعلاقتها بالصفات فكلها موضوعات بحثت ودرست لظروف ، و على الرغم من إيجابية التعامل وواقعية المعالجة في ذلك الوقت ، و عمق فكر المعالج إلا أنه ليس " فيها جديداً يخدم الدين أو العقيدة، كما نرى فيها خطراً على المؤمن نفسه أو على الخائض فيها بصفة خاصة.

أما كوننا لا نرى فيها جديداً يخدم العقيدة فلأن الذي يطلبه منا الحق أن نؤمن به

(1) الالوهية فى الفكر الاسلامى: د/ عبدالله الشاذلى ص 133 .

(2) المصدر السابق ص 142 .

(3) مدخل إلى علم الكلام د. محمد صالح السيد ص 8 .

وبوحدانيته ، وبأنه الخالق والمبدع والمهيمن، وأن له نعوتاَ وأسماء تليق به سبحانه دون الخوض فيما وراء ذلك ، ولقد ظل رجال السلف في كل عصر ـ يؤمنون بهذا القدر ، ويدعون الناس إليه دون الخوض فيما وراء ذلك ... ، وأما الخطر الذي بنشأ من وراء هذه الدراسات والزلل الذي وقع فيه هؤلاء المتكلمون ، فيتلخص في أنهم عاملوا الذات الإلهية معاملة ذواتنا ، وقاموا بالتفصيل والتمحيص في شئونها ، ثم إنهم بهذا التشريح العقلي وضعوا الذات العليا تحت سلطان العقل وإمكانياته ، واقتربوا كثيراً جداً من استكناه الذات العليا"[1].

ج- توجيه العناية إلى المسائل التشريعية ذات الصبغة العملية إذا تبين أنها تمس أصول الدين أوبخاصة المسائل التي اعتاد خصوم الإسلام أن يثيروا حولها جدلاً فارغاً وثرثرة طائشة أمثل مسألة تعدد الزوجات أوقوامة الرجل على المرأة وزيادة نصيبه على نصيبها في الميراث أوإباحة الطلاق أوالحدود الإسلامية لجرائم القتل والزنا والقذف والسرقة وشرب الخمر أفهذه المسائل وما ماثلها في حاجة إلى تجلية رأي الإسلام فيها أوبيان الحكم التشريعية الكامنة وراء موقفه منها إزالة للشبه المثارة حولها أوقصماً لظهور من يثيرون هذه الشبهات[2].

وبتطبيق هذا المبدأ نكون قد أخذنا بتصور الفارابي لوظيفة علم الكلام أحين عرف هذا العلم بأنه " ملكة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة أوتزييف كل ما خالفها بالأقاويل"[3].

فالفارابي في تعريف هذا لم يقصر وظيفة هذا العلم على نصرة الأصول الإيمانية أو الأحكام الاعتقادية التي عبر عنها بالآراء أبل جعلها شاملة أيضاً لفروع الدين أو الأحكام العملية التي عبر عنها بالأفعال .

---

(1) الالوهية فى الفكر الاسلامى: د/ عبدالله الشاذلى ص 192- 193 .

(2) مدخل نقدي لعلم الكلام ص 256 .

(3)إحصاء العلوم الفارابي ص 71 .صححه وعلق عليه ، عثمان محمد أمين ، مطبعة السعادة

وهذا مفاده أن مهمة علم الكلام المعاصر مهمة عظيمة ' إذ هو علم يقوم بالدفاع عن كل ما أمر به واضع الملة ، سواء أكان ذلك في مجال الاعتقاديات أو مجال العمليات ؛ لأن إنكار ما صُرَّح به في الدين – اعتقادياً كان أو عملياً – يعني إنكار الدين نفسه .

فإذا كانت الأمور العملية الفرعية المصرح بها داخلة في اختصاص علم الفقه من حيث الاستدلال على ورودها في الدين أوتقريع الأحكام عليها أفإنها تدخل في اختصاص علم العقيدة من حيث الاستدلال على أنها حق في ذاتها وأن إنكارها أو التشكك فيها يعني الإنكار لأصل من أصول الدين أوالتشكيك في حقيقة هذا الدين على وجه الإجمال[1] .

ح- تجنب عرض العقيدة من خلال الرد على الخصوم القدامى ، ودفع شبهاتهم ، بل لابد من بعث الفطرة الصحيحة الموجودة في نفوس بني آدم ، و إزالة الركام عنها، ومعالجتها وتزكيتها بالأدوية الإلهية ، وتهيئتها لمعرفة الحق و قبوله و الإذعان له ، ثم تعرض العقيدة عرض تقريرا و تأسيسيا ابتداء ، ثم من خلال الرد على الخصوم و المعاصرين ، و التحديات المعاصرة ، وتجنب احترار التحديات القديمة لا سيما التى لا وجود لها على الساحة ، أو لا تقع في قائمة الأولويات[2] .

خ- مراعاة العصر الذي نعيش فيه ، و اهتمامات أفراده ، و القضاي الساخنة المطروحة في الساحة .

د- مراعاة لغة العصر ، فنحن كما قيل نعيش في عصر العلم ، فهو عصر العلوم التطبيقية ، كما أنه عصر يغلب عليه المذاهب المادية ، و التيارات الإلحادية التي اتخذت من العلم التجريبي دليلا و جعلت منه إلها تدين به ، لذا فإن علم العقيدة الجديد لابد و أن يخاطب هولاء بنفس اللغة التي يتكلمون بها ، فما نجح علم العقيدة التقليدي إلا لأنه خاطب خصومه بلغة عصره وبنفس أسلحتهم .

---

(1)عوامل وأهداف نشأة علم الكلام 11 .

(2) العقيدة الإسلامية و أزمة الطرح د. عثمان علي حسن ، ص 59- 60 ، جولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية العدد18 مطابع الدوحة الحديثة المحدودة ، 1421هـ2000م .

ذ- و يضاف إلى النقطة السابقة ضرورة الاستفادة من معطيات العصر ومنجزاته وعلومه ، في تدعيم العقائد و تثبيتها ، و إقامة الأدلة عليها ، إذ لا يكفي أن نجعل من لغة العصر وسيلة لهدم آراء الأخر و الرد عليها ، بل لابد كذلك أن نجعل منها أدلة على صدق ما جاء في القرآن الكريم والسنة المباركة ، و أنه لا تعارض بينهما و ما توصلت إليه العلوم الحديثة ، فالقرآن الكريم كتاب الله المسطور ، و العالم كتاب الله المنظور ، وصدق الله تعالى حيث يقول :

(و لوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كيرا)[1] .

و لما لهذا الأمر من أهمية فإن كثيرا من المفكرين قد نبهوا إليه ومن أبرز هولاء الأعلام أ. محمد فريد وجدي عندما يدعو إلى تجديد النظر في العقائد فيقول : " فرض الإسلام سنة التجديد في النظر في الدين فقد علم أن لكل زمان مناهج للفهم ، ووجهات للتفكير ، و مسلمات أو مرجحات خاصة ، فإن لم تتجدد الفلسفة الدينية ، وتطبق على الحاجات الجديدة بلسان أهل كل عصر ، و تشمل عناصر ثقافتهم جمدت حيث و تركها الناس ، ومضيوا مع العلم ، فقال صلى الله عليه وسلم : إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"[2]

و بالجملة فلا بد لعلم العقيدة الجديد من خلال المشتغلين به من الإطلاع على الفتوحات العلمية ليروا دلائل جديدة لقدرة الله في الكون واطراده على سنن لا تتبدل ، مع عدم التسليم بنظرية طبيعية إلا إذا استقر الدليل عليها في موضع مطمئن لا يتزعزع ، وحينئذ يكون العلم المعاصر سلما للاطمئنان الفكري في مسائل الدين[3]

---

(1) سورة النساء الآية 82 .

(2) الإسلام دين الهداية و الإصلاح . أ محمد قريد وجدي ص 135 ،مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة – 1355هـ1936 م ، و الحديث أخرجه أبو داود في سننه 4/ 109 حديث رقم 4291 . بَابُ مَا يُذْكَرُ فِي قَرْنِ الْمِائَةِ ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، نشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت .

(3) من معالم الإسلام أ. محمد فريد وجدي ص 25 الهيئة المصرية العامة للكتاب 2000 م.

ر- صرف همة المسلمين إلى قضايا العقيدة الكبرى التي تشغل العقل المعاصر و ذلك مثل وجود الله تعالى ، وتوحيده ، و النبوة و المعاد و القدر ، والحكم بما أنـزل الله ، أما المشكلات الأخري ، كمسألة الذات و الصفات ، ومشكلة خلق القرآن ، و الصلاح و الأصلح ، فهذه مسائل درست في وقتها لظروف ، و قد انتهت هذه الظـروف أوعـلى الأقل تغيرت ، ومن ثم ينبغي أن يقتصر دراستها كتاريخ للفكر الإسلامي لا عـلى أنهـا قضايا تشكل عقيدة المسلم ، وتحدد أطر العلاقة بينه و بين ربه .

ز- ترك الدخول في المناقشات الجدلية ، أو الخصومات الفكرية ، أو العصبيات المذهبية الفلسفية و العمل على عرض مسائل العقيدة بما يحقق الغاية منها .

فلم يعد هناك داع لتعدد آراء الفرق الإسلامية المختلفة في المسائل الخلافيـة، كـما هو المنهج العام لمعظم الكتابين في علم الكلام قديماً وحديثاً، فإشاعة الفرقة هذه لا تفيد المسلمين في شيء اللهم إلا بلبلة الفكر، وزيادة الفرقة والانقسام داخل الفكر الإسلامي ، في وقت نحن فيه أحوج ما نكون إلى وحدة الكلمة وتوحيد الصف[1].

س- الشمول في عرض مسائل العقيدة فمن الأهمية بمكان في عرض مسائل علم العقيدة في العصر الحديث تناولها من منظور شمولي ، بمعنـى أن العقيـدة ليسـت هـي مباحث علم الكلام المعروفة من إلهيـات و نبـوات وسـمعيات فضـلا عـن الأسـماء و الأحكام ، و إنما يراد بها الإسلام بجميع جوانبه المختلفة سواء . أن هـذا الأمـر يكـون بأخذ مسائل العقيدة كمنهج عضوي تجريدي يراد به أن يكون منهجا للحيـاة و أساسـا للنظم[2].

ش-الربط بين الفساد الأخلاقي و الفساد الكوني ، فلايقـع الفسـاد في الكـون إلا بفساد أخلاق البشر و تردي أحوالهم ، وهذا يدل عليه قولـه تعـالى : (ظهـر الفسـاد في

(1) العقيدة الاسلامية فى ضوء العلم الحديث: د/ سعد الدين السيد صـالح 1/ 9 ، ط دار الصـفا، 1411هـ 1991م.

(2) ينظر : التجديد مفهومه و ضوابطه و آفاقه في واقعنا المعاصر د. عصـام البشـير ص 949 مـؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي 2002 م.

البحر و البحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون)[1].

أهداف التجديد في علم العقيدة :

ما مر كان حديثا عن أسس علم العقيدة الجديد ،أما عن أهدافه و مهماته فهي على النحو التالي :

أولاً : عرض العقائد الإسلامية عرضاً سهلا ميسرا في صورة ناصعة ، وتقديمها للناس بلغة عصرية تتسم بالسهولة واليسر وتلائم مدارك الخاصة والعامة على السواء سيما إذا وضع في الحسبان أن من بين خصائص هذه العقيدة ، السهولة و الوضوح ، وحيث إن أمرها على هذا النحو فلابد من عرضها بما يتوافق معها ، ثم يتبع ذلك الإستلال عليها بأدلة واضحة مقنعة تخاطب الإنسان عقلا وروحا ووجدانا ، أدلة تخلو من التقعيد ، و الغموض وتنأى بنفسها عن التكلف والتعقيد وتورث الإذعان واليقين وبذلك يسهل على الناس فهم هذه العقائد فهماً صحيحاً والتعرف عليها في نقائها ونصاعتها والإيمان بها يكون راسخاً و قائماً على البينة والبصيرة والإقناع .

ثانياً : مواجهة حملات الغزو الفكري التي توجه إلى الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكا بقصد تشكيك المسلمين فيها والأمثلة لذلك كثيرة نكتفي هنا بالإشارة إلى أهمها :

1- مناصرة اليهود لكل الحركات الهدامة التي قامت تكيد للإسلام و المسلمين ، ومن أهم هذه الحركات التي نشأت و نمت وترعرت تحت أجنحة اليهود و رعايتهم بطريق مباشر البابية و البهائية .

2- المذاهب الفلسفية و التيارات المادية ، و النظريات العلمية التي يتمسك بها دعاة الحداثة ، و أنصار المدنية بمعناهما الزائف ، و يمكن إدراك ذلك بسهولة .

(1) سورة الروم الآية 41 .

obeikandl.com

ففي الفلسفات الحديثة و المعاصرة أدعوات صريحة للإلحاد . وحول المنهج العلمي تنسج أيضًا أوهام من الإلحاد باسم إنكار كل مالا يخضع للتجربة أوعدم قبول المادة للفناء .

3- أما في مجال التنظيم الاجتماعي ففيه سحابات من الإلحاد وتقوم بعض الدعاوى في هذا الميدان على إنكار الدين واعتباره طورًا متخلفًا من أطوار التقدم الاجتماعي أأو إنكار دوره في عملية التنظيم الاجتماعي وقطع علاقته بالسياسة بدعوى فصل الدين عن السياسة أوفصل الدين عن الأخلاق بدعوى أن العلم كاف في توجيه سلوك الأفراد والجماعات .

4- و في قضايا التشريع و قضايا الأسرة نجد الإلحاد يطل برأسه في هذا الميدان فيهاجم الدين في كثير من تشريعاته ، فنجد من يهاجم تعدد الزوجات أقوامة الرجل على المرأة . وهناك من ينادي بأن يكون نصيب المرأة كالرجل في الميراث . كما نجد الإلحاد يدخل نطاق تدوين التاريخ – حيث يقدم الإسلام على أنه نتيجة لصراع الطبقات ومظهر من مظاهر التطور الاقتصادي يصنف فيه الصحابة إلى يمين ويسار ويقدم الرسول ﷺ على أنه رسول لقيمة من قيم التطور الاجتماعي كالحرية. وتقدم الأديان بعامة على أنها السبب الأصيل فيما حدث من حروب على مر التاريخ وقل مثل ذلك في الأدب ، و الفن.

5- والأدهى من ذلك أن بعض البحوث ذاتها تطلعات إلى الإلحاد إذ ينكر البعض دور السنة في التشريع و ينكر نبوته صلى الله عليه وسلم و يطعن فيها ، زاعما أن القرآن ليس كتابا سماويا بل هو مقتبس من اليهودية و النصرانية أوالبعض الآخر يرى الفصل بين الدين والسياسة[1] .

6- كما يهاجم الإسلام أيضاً في عقوباته أو حدوده التي قررها ردعاً للعصاة الآثمين في جرائم السرقة والزنا والقذف وشرب الخمر ونحو ذلك أحيث تصور هذه

(1) ينظر: عوامل و أهداف نشأة علم الكلام ص 314- 315 .

الحدود – من جانب الأعداء – على أنها ضرب من العقوبات الوحشية التي تهدر معها كرامة الإنسان .

وقد نسى هؤلاء الأعداء أو تناسوا ما يترتب على هذا التعطيل من تشجيع العصاة والمجرمين على اقتراف جرائمهم وممارسة نشاطهم الهدام الذي يؤدي إلى حرمان الناس من أكبر نعمة، وهي نعمة الأمن والاطمئنان على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم[1] .

هذه لمحة خاطفة عن محاولة أعداء الإسلام تشويه تاريخ المسلمين في العصور الباكرة، وهي لمحة تدل و بوضوح على ما يضمره هؤلاء الأعداء للإسلام التخريبية على الإسلام .

7- بجانب هذين الهدفين لا بد لهذا العلم من المحافظة على أهدافه القديمة و التي دات حول :

أ- أثبات العقائد الإيمانية و إقامة الأدلة عليها .

ب- دفع ما قد يوجه إليها من شبه أو اتهامات من قبل الملاحدة والزنادقة و المخالفين .

على أننا و إن كنا نعرض لهذين الهدفين فإننا نؤكد أن الإثبات للعقائد و الرد على المخالفين يكون وفق معطيات العصر و آلياته ، و بلغته و أدواته حتى يكون ذلك أبلغ في الإثبات و أوقع في الرد .

ومن ذلك يتبين أن الضرورة قاضية بتجديد موضوعات علم الكلام و العمل ذلك من خلال نظرة عصرية شاملة، تفي بالمطلوب ، وتحقق الغاية ، و تحافظ على الثوابت .

بمعنى أن علم الكلام الذي ننشده مطالب بأن يكون عصرياً في قضاياه وموضوعاته، وفي أسلحته وطرق دفاعه، وفي حواره ووسائل إقناعه، ذلك أن المهمة

(1)ينظر : شبهات حول الإسلام محمد قطب ص 150 وما بعدها .ط دار الشروق .

obeikandi.com

الأساسية التي يضطلع بها هذا العلم هي مهمة تقرير الحقائق الإيمانية وإقناع الآخرين بها، ودفع الشبهات عنها، ولا شك أن العقل الإنساني متطور , وأن الشبه والأسئلة تتجدد، وأن لكل عصر تفكيره وطابعه ومشكلاته ، ومن ثم فإن العالم الإسلامي المعاصر يتطلع اليوم إلى ظهور متكلم عصري يقوم بدور التجديد في علم العقيدة، لديه القدره على التفاعل مع الواقع ، و التكيف مع الحدث ، و استيعاب الآخر ، والوقوف على المشكلات وحلولها ، و المعضلات وما يتفرع عنها ، ويجيب عن هذا بأسلوب بين مناسب للزمان و المكان ، ويحقق الغرض و يصيب الهدف المقصود .

المنهج الذي يتبع في علم العقيدة الجديد :

والمقصود بالمنهج هو الطريقة التي يسلكها هذا العلم لتحقيق الهدف منه ولبلوغ غايته وبما أن هذا العلم يقوم على دفع العقل المسلم لتبصر النص في ضوء العصر، وممارسة الاعتقاد في جو من الحرية والشفافية ، كان لا بد أن يكون المنهج المتبع هو منهج إدراك النص لغة ، وسياقا ، وتراثا ، والقيام بواجب الوقت مع إدراك الواقع من زواياه المختلفة البيئة القريبة والظروف المحيطة والإمكانات والقدرات المتاحة للفرد وللمجموع [1] .

إن مما يعين علم العقائد الجديد على النهوض بمهماته التي حددناها أن ينهج هذا العلم في تقرير مسائله منهجاً يستهدف الإقناع بوسائله العقلية والوجدانية على السواء، و أن يوجه عناية أكبر إلى دراسة مسائل العقيدة كما وردت في الكتاب والسنة، بحيث يستوحي فيها النص في بساطة بعيدة عن تعقيدات المذاهب التي فرضتها ظروف ثقافية ربما كان عصرنا منصرفا عنها[2] .

---

(1) نحو ممارسة جديدة لعلم الكلام د. محمود مسعود ص 24 .عوامل و أهداف نشأة علم الكلام في الإسلام ص 316- 317.

(2) عوامل و أهداف نشأة علم الكلام ص 318- 319 .

بهذا المنهج وحده يستطيع علم الكلام الحديث أن يواجه تحديات الحضارة المعادية والثقافات المسمومة والتيارات الغازية والمفاهيم الداخلية المغلوطة وما جاءت به – في فترة سيطرة الاستعمار وعنفوان تسلطه – من مناهج ملتوية في الاعتقاد والفكر والاقتصاد والأخلاق والاجتماع .

وبهذا المنهج وحده يستطيع الجيل الإسلامي أن يحقق ذاته ويثبت وجوده وهويته بحيث لا يغيب عن معترك الحياة ولا يحيا على هامشاً أو يسلم نفسه لتياراتها تتخطفه مذاهبها وتلفه أعاصيرها وتفتك به أدواؤها ويعبث بفكره وخلقه شياطينها ويقذفون به في مهاوي الظلام بعيداً عن ينبوع الحياة الطيبة الكريمة يتخبط في سيره وينحرف في اتجاهه ويجري هنا وهناك لاهثاً مكدوداً في تيه طويل وشقاء مرير .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل[1] .

المنطلق الذي ينطلق منه علم العقيدة الجديد :

يقوم المنطلق أو المرتكز الرئيس لهذا العلم على تراث الإسلام بصفة خاصة مع الانفتاح على الآخر ، للوقوف على ما لديه من إيجابيات يمكن الأفادة منها ، فهو على حد قول أحد الباحثين : مشروع إحياء إسلامي ينطلق من تعقل هذا التراث بصفة جوهرية ويرتكز على محطات الإضاءة فيه، مبتعدا عن مراحل الوهن بقدر الإمكان، حيث هو مشروع إحياء وإنماء أكثر منه مشروع نقد وتحليل وتفسير، يبحث عن تفعيل الدور لا وصف المفعًل، ويهتم بتشغيل العاطل لا بمدح العامل، والقيام بواجب الوقت وليس يصف الماضي، يهتم بصنع ما هو آت وليس البكاء على ما ضاع[2] .

الغاية التي يسعى لها علم العقيدة الجديد :

تحقيق السعادة للبشرية ، والمحافظة على دور الأمة الحضاري و الريادي ، فهذه غاية سعى إليها علم العقيدة بمعناه التقليدي ، ويجب أن تكون كذلك في علم الكلام

(1) ينظر :مدخل نقدي لعلم الكلام ص 267– 268 .

(2) نحو ممارسة جديدة لعلم الكلام د. محمود مسعود ص 24 .

obeikandi.com

المعاصر باعتبارها أسمى ما يعمل له الإنسان ، فالعقيدة " الدينية في الإسلام منظومة متكاملة للارتقاء بالإنسان ، و الأخذ بيده إلى ميادين التقدم و الإزدهار على جميع المستويات العلمية ، و الأخلاقية و الحضارية و الإنسانية ،... و ليس من المفيد أن تتحول العقيدة الدينية إلى مادة جافة للمناقشات اللفظية البعيدة عن واقع الحياة و ظروف الإنسان ، فالعقيدة الدينية جاءت للإنسان و من أخل خيره و سعادته ، ومن هنا ينبغي أن تفهم على أنها أداة فاعلة ومحركة للهمم على طريق الخير و التقدم و الإزدهار لحياة الناس على المستويين المادي و الروحي على حد سواء"[1] .

الموضوعات التي يتناولها علم العقيدة الجديد :

أما موضوع علم العقيدة الجديد فهو الجانب العقدي عند المسلمين مع المقارنة بينه و بين عقائد غيره للوقوف على الفارق بين الإلهي و البشري ، و أثر كل منهما على صاحبه ، مع التركيز على ضرورة غرس العقيدة الإيمانية في قلوب المؤمنين بأبسط الوسائل ، و أيسر الأساليب وذلك من القرآن الكريم ، و السنة المباركة ، ودرس السير العملية، التي يمكنها أن تكون إيجابية في الجانب العملي ومؤدية إلى تفعيل دور هذا الإيمان في حياة الإنسان المسلم ومن حوله ، فضلا عن الموضوعات التي فرضتها البيئة ودعت إليها الظروف ، و أفرزتها المذاهب المعاصرة أو التيارات الموجودة .

فهناك قضايا كثيرة لم تشغل بال المتكلمين الأوائل ، لكن ظروف العصر تدعوا إليها وتقتضي طرحها ضمن موضوعات علم العقيدة الجديد ، وتتنوع هذه الموضوعات الجديدة بتنوع أبعادها ، فمنها ما هو ذو بعد شرعي، وبعضها ذو بعد اجتماعي، وبعضها إنساني، وبعضها كوني ، وهنا يمكن القول بأن علم العقيدة الجديد يمكن أن يضم بين دفتيه " الكلام في فلسفة الوجود ، و نظرية المعرفة ، و حركة التاريخ، كما يتناول تقرير المنهج العلمي على وجهه الصحيح ، و التصدي لدعاوي

(1) السمات الأساسية للعقيدة الإسلامية ، د. محمود حمدي زقزوق ص 25-26 المحاضرة الإفتتاحية للمؤتمر الدولي الثالث للفلسفة الإسلامية – كلية دار العلوم بالقاهرة 1419هـ1998م .

التطـور الطبيعـي ، و حتميـة القـوانين الطبيعيـة ، ودور الـدين في عمليـات التنظـيم الاجتماعي و الصراع بين الطبقات ، و التطور الاقتصادي ، و الحرية الفردية في علاقاتها بأساليب التربية الدينية بخاصة ، ودور السنة قي التشـريع ، وخلـود الأصـول الدينيـة القطعية [1] .

فهذه الموضوعات كما نري بعضها ذات البعد التشريعي يركز على الجانب العملي ، و أخري ذات بعد الاجتماعي تركز على حقيقة العدالـة الاجتماعيـة ، وحقيقـة التكافـل الاجتماعي بين أفراد الأمة والبعض الثالث ذات بعد كوني تشمل قضية تسخير الكـون للإنسان وأنه سيده ، و أن هذا الكون خلق لأجله .

إن إدراج هذه الموضوعات ضـمن مفـردات علـم العقيـدة الجديـد يؤكـد حجـم التحديات التي تواجهها أمتنا من ناحية ، و تؤكـد عـلى ضرورة تجديـد هـذا العلـم بـما يناسب العصر باعتبار أن هذا التجديد ضرورة دينية ، ومـن ذلـك يتبـين أن الضرـورة قاضية بتجديد موضوعات علم العقيدة ، و العمل ذلك من خلال نظرة عصرية شاملة أتفي بالمطلوب ، وتحقق الغاية ، و تحافظ على الثوابت .

بمعنـى أن علـم العقيـدة الـذي ننشـده مطالـب بـأن يكـون عصرـياً في قضـاياه وموضوعاته أوفي أسلحته وطرق دفاعه أوفي حواره ووسـائل إقناعـه أذلـك أن المهمـة الأساسية التي يضطلع بها هذا العلم هي مهمة تقرير الحقائق الإيمانية وإقناع الآخـرين بها أودفع الشبهات عنها أولا شـك أن العقـل الإنسـاني متطـور أوأن الشـبه والأسـئلة تتجدد أوأن لكل عصر تفكيره وطابعه ومشكلاته ، ومـن ثـم فـإن العـالم الإسـلامي المعاصر يتطلع اليوم إلى ظهور متكلم عصري يقوم بدور التجديد في علم الكلام أ لديـه القدره على التفاعل مع الواقع ، و التكيف مع الحدث ، و استيعاب الآخر ، والوقـوف على المشكلات وحلولها ، و المعضلات وما يتفرع عنها ، ويجيب عن هذا بأسلوب بـين مناسب للزمان و المكان ، ويحقق الغرض و يصيب الهدف المقصود .

(1) ينظر : عوامل و أهداف نشأة علم الكلام في الإسلام ص 217 .

openkandil.com